دخان الشتاء

مجموعة قصصية

علي حزين

الطبـعـة الثانية

2021م- 1442هـ

عنوان الكتاب: دخان الشتاء

اسم المؤلف: علي حزين

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيداع: 7805 / 2021

الترقيم الدولي: 3 - 053 - 998 - 977 – 978

التدقيق اللغوي: د. هبة ماردين
تصميم الغلاف: محمد وجيه

التنسيق الداخلي: فريق عمل الدار
رقم الطبعة: الطبعة الثانية

المدير العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع ـ مصر ـ بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

دخان الشتاء

مجموعة قصصية

علي حزين

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع
ديوان العرب
حقق حلمك

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

(**1**) ــ إلى أعز وأغلى الناس... إلى مدرستي الأولى التي تعلمت فيها الصدق والحب لكل الناس... إلى أبي وأمي.... أقدم لكما بعضاً من الجميل... فمازال لهما علي الكثير والكثير...... ابنكما المحب...... على حزين

(**2**) ــ إلى الشمس والقمر... إلى الشعر والسمر... ومجلس الأنس في ليالي الضجر... إلى منارة العلم والأدب في طهطا... إلى الأخوين الشاعرين... / د/ علاء الدين رمضان.. و.أ/ بهاء الدين رمضان

(**3**) ــ إلى المرآة التي لا.........!!!!

ـــ إلى المرأة التي .... !!!

ـــ إلى المرآة ....!!

ـــ إلى ....!

****

نَزوَة

قصة قصيرة

ابتسمت له وهي تغلق الدار.. تسمر مكانه.. جلس يفكر.. حدثته نفسه بأشياء كثيرة.. أدار بينه وبين نفسه.. حواراً طويلاً جداً.. عرضه رأيه.. والرأي الأخر.. أفترض أشياء.. ثم أعترض عليها.. وافق.. ورفض.. ثم علل.. وحلل.. ما رأى.. وما مرَّ.. وما حدث منذ قليَل.. حتى احتدم الجدل.. بينه وبين نفسه.. ولما أضناه الأخذ والرد.. سكت.. وانهي النقاش.. برهة.. تسرب من الداخل شعاع خافت.. قسم رأسه نصفين.. هزّ رأسه.. فتساقطت أفكاره.. شياطين صغيرة.. تثب أمامه فوق الأرض.. تكبر بقعة الضوء الواقعة.. من وربت الشيش.. فتظهر واضحة أمامه.. دقق بعينيه وجحظ سحب لسانه بشفتيه.. شعر بقلبه يخفق.. كحمامة مذبوحة في صدره.. مزج دخان سيجارته.. بأنفسه المتلاحقة.. والهواء القارص يلفحه.. وهو متجمد مكانه.. برهة.. رفع رأسه قليلاً وحملق.. كانت تتجه صوب الدولاب.. حين تجمد الدم قفي عروقه.. فتحت دفتيه.. جف ريقه.. ونشف.. مررت يدها البيضاء الملتفة.. بين الفساتين المعلقة الملونة.. أمسكت قميصاً أسودا.. تخشب مكانه.. وخرط عرقه.. أرتبك.. أبتلع ريقه ألناشف.. وهي تجلس أمام المرآة الضخمة.. الفخمة.. تدير نهديها.. النافر.. الممتلئ.. بيدها البض

لتهيجه.. أنتفض.. احترق.. طفت فوق مخيلته فكرة مجنونة.. سيطرت عليه تماما وساعة الحائط تعزف قطعة موسقية.. وأخري تدق أم رأسه تمزقها وهي تشير إلي الوقت.. انتصف الليل.. وهو متصلب مكانه.. فزوجها الليلة خارج الدار كعادته ولا يعود إلا بعد أيام.. فعمله يحتم عليه ذلك.. أدار الأمر في رأسه جيداً.. ولم يفترض في تلك المرة.. أو يعترض.. ففكرته المجنونة الملعونة.. تلح عليه مُنذ زمن بعيد.. رسمها في مخيلته جيداً.. هزَّ رأسه.. مطمئناً أن خطته محكمة تماماً.. لثم وجهه.. خبأ خنجره في ثيابه.. احتاط وهو يتسلق الجدار بسرعة.. أغلق الشرفة المطلة علي الشارع.. انبجس ينتظرها.. في زاوية ما.. مرت عليه اللحظات دهورا.. وصوتها يتهادى من الحمام بالغناء.. لينهش أعصابه ككلاب مسعورة.. حبس أنفاسه ألاهثة.. وهي تلج الحجرة.. في لين وتؤدة.. وصوتها الناعم الحريري.. يثير كل جوارحه.. بسرعة أغلق الباب دونها.. فتنبهت لوجوده.. ارتبكت.. ارتعدت.. ابتعدت.. انكمشت.. فوثب عليها كالمجنون.. وضع يده علي فمها.. ضغط خنجره في عنقها.. هددها بصوت خافت.. مضرب.. أجش.. غير من نبراته.. حتى لا تعرفه.. انتفضت.. أوجست خيفة منه.. سكتت.. سكنت.. رفع يده ببطء وحزر.. ثم وقف أمامها يلهث.. تزرزرت.. تداخلت في نفسها.. ثم انزوت عند الباب المغلق.. تجمع بعضها المرتجفة.. بين يديها انكمشت.. وهي تبكي.. اقترب منها وهو يلهث.. التهمها بعينين جاحظتين واسعتين.. مالت نحو الدولاب المفتوح.. أخرجت علبة مصاغها.. ضربها

بيده.. فوقعت علي السرير.. نظر إليها وهي مبعثرة.. مشدوهاً في عته.. فاغراً فاه.. أمسك يدها بقوة.. ارتبكت.. انتفضت.. توسلت إليه.. أن يدعها.. ويأخذ كل مصاغها.. حرك رأسه رافضاً.. بكت وهي ترجوه .. نهرها بحدة.. هدهدها.. بين يديه.. انتحبت.. حننته.. ثمّ سكتت.. مستسلمة لأنفاسه.. وهي تحرقها حتى النخاع.. أحست بأصابعه كقطع من الجمر.. وهي تمشط جسده البلوري المتشرب بالحمرة.. وتعبث بشعرها الليلي البهيم.. تأوهت.. أنّت.. قاومت.. دفعته بكل قوة بعيداً عنها ففشلت.. ثم انحدرت الدموع ساخنة.. علي وجنتيها التفاح.. اعترك حتى استسلمت يديها.. بعد عراك مرير..شد وجذب.. وهوى الخنجر من يده علي الأرض ثم امتزجت الأنفاس حامية.. لاهثة.. متلاحقة.. ملتاعة.. وقد انقطع البُهر.. وغابا عن الوعي.. حاولت إماطة اللثام عن وجهه.. لكنه رفض.. انتفض.. نهض.. وقبل أن ينصرف.. زغللت عينيه قطع الحُلي المتناثر.. عبأه في جيبه.. وفرّ هرباً.. هبت.. نهضت.. هرولت صرخت.. استغاثت.. فأقبل الناس عليها.. من كل صوب.. فهالهم ما رأوا.. واقفة لا شيء يسترها.. غير شعرها الطويل.. المبعثر علي كتفيها المرمر.. ونهديها يترجرجان.. وهي تخمش وجهها.. بأظافرها.. وتلطم.. في صراخ هستيري.. حتى انهارت تماما.. وسقطت من طولها علي الأرض.. والناس حولها.. يتدافعون.. يزدحمون.. يعتركون.. لكي ينظرون... امرأة ما حلت شالها الأسمر.. ألقتهُ عليها بسرعة.. وأخرى لفتها بملاءتها.. وحملناها إلى داخل

الدار.. ومنعن الرجال من الدخول.. ووقف الناس ينظر بعضهم بعضاً.. وهم مندهشون.. وحائرون.. ويسألون في جنون عما حدث.. ....؟!!..

(يقول الراوي)

"ولما حضر الزوج... أخبرته بأن لصاً... سرق مصاغها. ..... وهرب.. " ؟!!

"وأما الذي فعل هذا... قضي ثلاث أعوام.. خلف القضبان.... وفصل من عمله.. . فأصبح عاطلاً.. . .يتسكع علي الطرقات... وعلي المقاهي.. ."..؟!!.

"وأما المرآة وزوجها...... لما كانا لا يستطيعا..... أن يواجها الناس.... باعا البيت ورحلا.. . إلى مكان بعيد.. . لا يعرفهما فيه أحد.. ....".. .؟!!.

****

تداعيات من الزمن المنكسر

قصة قصيرة

الشكنات الهندسية الشكل تبدو رائعة،والسيارة تسبح في بحر الشارع.. تطوى الحقول الخضراء على جانبيها.. والبحر أمامها يمتد ويقترب.. والشمس العذراء.. تستر خلف الغُلّل البيضاء.. وتطل من بين الأغصان الوارفة.. وكان الهواء النقي.. يضرب وجهي بعنف.. ويعبث بمعطفي الرمادي.. ويلخبط شعري.. والشوارع المتسعة.. هادئة جداً.. تلهو فيها الشمس الباردة.. والفساتين الملونة.. ترقص علي مناشر الغسيل.. وستائر الشرفات.. تعلو وتهبط.. فتصفق في الهواء الطلق.. واغصان الشجار.. الوارفة الظلال.. يوشوش بعضها بعضاً.. وصبية صغار يلعبون بالكرة.. وآخرون يتحاورون بالدرجات.. وكنت اتخيلها وهي التي تجلس بجواري.. تشاركني المقعد الوثير، والطريق الطويل.. فجاء صوتها يتهادى.. ينبعث من أعماق الذات.. ليكسر صلف الصمت القاتل.. ورنين ضحكتها الحلوة.. يدغدغ مشاعري المرهفة.. وتعليقاتها الساخرة من كل شيء.. حتى من نفسها.. حين كانت تريح يدها، البيضاء في يدي.. وتشبك الأصابع المرتجفة في أصابعي وتضغط فيقشعر جسدي، وانتشي.. ويهرب الدم من عروقي.. وفى عينيها العسليتين

رعدٌ، وبرقٌ، وصواعق، تدمر كل قلاعي.. وحصوني المنيعة.. وتحطم جدران الذاكرة وتذيب كل الفواصل بيننا، والحدود.. فأصيرُ طفلاً بين يديها.. لا يعجبها تصرفاته الصبيانية...............

"آهٍ.. لكم أنا مشتا ق إليك يا حنان.. وأكثر مما مضى أحتاجك.. تلفيني بين زراعيك.. وتمسحي بيدك النحيلة رأسي.. لتنفضين من فوقها سنيّ الاغتراب.. محتاج إلى دفء صوتك.. لكي تغسلني حني النخاع.. محتاج لضحكتك.. الحلوة تزلزلني.. وشعرك الغجري المتمرد ينام فوق طرقات وجهي الشاحب.. هذه يدي خاوية.. فمدي يدك.. شبكي الأصابع المرتجفة.. واضغطي.. فأنا الآن مشُتاق.. وبيّ لوعة.. البائس.. التعيس.. فبرغم الجو الساحر.. إني أفتقدك.. وأحن إليك.. بطول العمر والمسافات التي تفصل بيننا.. أناديك.. ... وأشتهيك.. "

تنحنحت التي بجواري، نظرت إليها، فابتسمت، وكأنها تريد أن تأخذني منك.. تسألني عن الزمن المتوقف في يدي.. فمنذُ فارقتك.. وكل شيء قد توقف عندي.. .!!

((فلا تخافي.. صغيرتي.. واهدئي.. فالنهد المترجرج الصابئ.. المتمرد.. والفتنة النائمة في تلك العينين السوداويين.. والجسد الأبيض الطري الدِنّ.. وعطرها الأنثوي.. وبسمتها الخبيثة.. كل ذلك مجرد تأثير وقتي وعابر سرعان

ما يتبخر ـ عندما نفترق.. وأمور عفوية وعارضة.. فلتهدأ روحك الثائرة بداخلي.. ...)).. ....

تحسست حقيبتي.. حتى أتأكد أنى لم أنسى شيئا.. ارتخيت على المقعد.. أتابع صوت المغنى.. المنبعث من المذياع.. الشاكي لكل الناس أوجاعه. وكنت ألتهم بعيني.. اللافتات العريضة التي تسمرت.. على جانب الطريق.. وبعض المباني المتناثرة.. هنا وهناك في عشوائية رائعة.. وسطر الأشجار الذي لا ينتهي.. ورائحة البحر التي لا تقاوم.. كل ذلك يذكرني.. بتلك الليلة ، البعيدة ، الكئيبة حين اقترضت عشرون جنيهاً من جارتي العجوز.. وتركت لها البلد لك.. وهربت.. .!

((رميت نفسي في آخر قطار... متجه إلى القاهرة... وكان الرحيل، والاغتراب.. . حين رفضت أن أكون... فارس أحلامها المنتظر... لن أنساها أبداً.. . تلك الليلة الحزينة... من ليالي الشتاء القارص... جاهدت معها.. وحاولت كثيراً... أن أكسر صخرة عنادها... أن أثنيها عن قرارها...أحميها من نفسها.. .وبرغم أني أثبت لها أن فلسفتها للحياة خاطئة... وخبرتها ما زالت قاصرة. إلا أنها فضلت الانتحار.. في أحضان غريبة ."هه. هه" كلها حفنة أيام.. . وستصبح مدام فلان.. . " طظ "..))

"كان صوتها في تلك الليلة.. كرابيج من نار.. ما انفكت تنهش لحمي.. وتطاردني في كل مكان.. وتصفع مشاعري المرهفة.. بلا رحمة حتي ضحكتها.. صارت ككلاب تنهش عقلي.. وكلاليب تمزق قلبي.. أشلاء من بين ضلوعي.. انهرت ساعتها.. وكدت أسقط أمامها.. لولا اني تماسكت.. وددت ان ابصق عليها.. وأصفعها بكل قوة.. أدهسها تحت حذائي .. الرخيص.. حتى أُسويها بالأرض.. ولكني تحاملت.. وتحملت للنهاية.. ولعنت ضعفي وزلي أمامها.. وفضلت الهروب منها.. ومن الشوارع التي كانت تضمنا عند المساء.. ورحلت بعيداً عنها،بعدما حرقت كل رسائلها، والصور، وارتديت أخرعربة بالقطار.. تكورت فوق حقيبتي.. أتلمس ضوء المصابيح.. الخافتة، المصطفة.. وهي تحارب اشباح الليل.. وتهتك أجساد المدن الناعسة.. تحت عباء الليل البهيم.. وظل القطار يخبط.. ويخبط.. يوقظ صوتهُ الليل والمدن.. ويعلن عن نفسه.. يناوش القرى.وينادي المدن البعيدة.. والباعة يلجون.. من بين الكتل البشرية المصفوفة في ردهة القطار.. وكل منهم ينادي سلعته.. بطريقته الخاصة.. ثم يسب ، ويلعن الدنيا ، والعيش.. والحياة المرة.. والناس ينظرون إليه ولا يتكلمون.. وأصوات الركاب تداخلت.. حتى صارت كدوى النحل.. وكنت وحيداً.. شريداً.. طريداً.. محطماً مهزوماً.. مهتماً بما في للغد الأتي.. لا أعبأ بالعيون التي كانت تناوشني.. وتتحسني في خلسة، من حين لآخر.. حتي

هدأ الليل.. ونامت العيون.. وذهبت النجوم وسكن الليل.. وملأت العيون عن شوارعها.. وانقطع بكاء الطفل الذي كان يلقم صدر أمه "......

تنبهت لصوت التي بجواري.. وهي تطلب من سائق التكسي تهدئة السرعة.. في تلك اللحظة.. تفرستها جيداً.. تحققت من ملامحها كاملة.. كانت جميلة للغاية. تشبهك يا "حنان" إلى حد كبير نفس النظرة.. نفس الابتسامة الساحرة.. التسريحة.. الفستان الجميل.. الشفاه المستديرة المحددة.. المقدد.. حتي العطر الذي تفضلينه.. يفوح من الجسد الأبيض.. مصادفة عجيبة أدهشتني.. وأعجبت لها كثيراً.. أدارت وجهها صوب البحر.. ووضعت ساق علي ساق.. فضاق علي المقعد قاومت.. ارتبكت.. خفت.. فتركت لها المقعد وقمت من جنبها.. فاستدارت نحوي.. ترنو إليّ، وهي تخرج من عينيها.. جيوشاً من علامات التعجب...!!! والاستفسار...؟؟؟.. ثم وضعت يدها علي فمها.. في دهشةٍ.. واستغراب.. فأخذت نفساً عميقاً.. وفضلت الصمت.. والنظر إلى موج البحر الهادر.. والحقول الخضراء.. والشمس وهي تبتسم في كبد السماء...

((في أول مرة.. هبطت قدمي سلم القطار.. لِأجد نفسي في بلد غريبة، بعيدة ، خفت، وحدثتني نفسي بالرجوع إليك يا "حنان ".. لكن أمواج البشر المتلاطم.. ألقي بي في قلب المدينة الخرسانية.. لأجد نفسي أسير تحت اشعت الشمس المحرقة.. وبين العربات الفارهة.. أقفز وأجري ، كي

أتفادها كبهلوان نشيط.. ورصيف يسلمني لرصيف.. حتي ناوشني التعب.. فارتميت فوق قطعة خضراء.. في الأرض اليابسة.. توسدت حقيبتي.. اغمضت عيناً واحدة.. والأخر أبقيتها مفتوحة للصوص المدينة.. حتي لا تقلبني أيديهم.. التي لا ترحم غرفتي أتحسس جيبي، لأتأكد من هويتي، وأوراقي المهمة ، التي تثبت أني غريب.. عن هذه المدينة.. ورحت أقلب في " المتواليات "...أقراؤها "... أتعلم كيف يصاغ الحرف.. ليغير وجه المدن البعيدة.. ليعطينا.. "وجهاً نألفه.. ويغير فينا وجه الرحلة.. لون الأيام .. يعطينا لوناً آخر للأحلام ".. ويجئ المساء غريباً.. يشبه وجه المدينة.. فطوبي للغرباء أمثالي.. طوبي للحزانى، والبؤساء.. لأن الجوع ينهش أحشاءهم.. طوبي للذين يفترشون الأرض.. ويلتحقون السماء.. وتصرخ الكلمات بداخلي ((للثعالب أوجرة وللطيور أوكار)) حتي كلاب الأرض.. الضالة لها زوايا من الأرض.. تعرفها جيداً.. وتأوي إليها حين تشتهي الموت.. أما أنا فليس لي هاهنا.. مكان آوي إليه.. لأضع رأسي المتخمة بالجراح.. وآلاف الكتب الصفراء.. والأسماء والعناوين.. وأحلامي الكبيرة الملقاة في الشارع.. عارية في الطل.. غير مأسوف عليها.. يدهسها أزيز المحركات.. وهي تنهب الطريق.. وتلعقها عيون المارة وتلوكوها الأفواه الفاغرة..وكنت أشعر ان كل ما برأسي تافه، باطل، وقبض الريح، ومزيف كوجوه النساء في المدينة.. اقتربت مني سيارة شرطة.. حينها أسلمت قدماي للريح.. حتى لا توضع يداي في أساور من حديد.

" حدث ذلك معي ــ في يوم ما ــ حين كنت عائداً من محاضراتي.. وبينما كنت الهث..خلف القطار، أوقفتني سيارة زرقاء كهذه.. ابتلعتني.. من قبل ان أنطق ببنت شفة.. كلمة واحدة لم اقلها.. ورضيت الاستكانة حينها استسلمت.. وجبنت في الكلمات.. ورضخت للأمر الواقع شهراً كاملا.. ثلاثون ليلة متواصلة.. يفترسني الجوع وبرد الشتاء.. وثلاثون أًخر.. كل صباح تشدني خيوط الشمس.. فوق نافذة صغيرة.. حتى أصبحت كعنكبوت يجري فوق الحائط .. أرمي عيناي في كل اتجاه.. أنتظر قطارات الجنوب وهي عائدة.. ويعاودني حنين الخيل للصهيل.. والطير للرحيل.. والسفر.. ويرحل فيّ الحنين.. مهزوماً.. يجفف دموع انكساراتي.. "

ففررت منهم لما خفتهم.. لأني لست مثلهم.. هم معهم إقامة.. وأنا بلا إقامة.. هم يملكون بيوتاً خراسانية في المدينة.. وأنا بلا بيت.. أو وطن.. أو عنوان.... هم يتربصون بيّ.. وانا لا املك من أمري شيء.. فاخترت الفرار كحمار وحشي.. ارتديت المنعطفات، والأزقة، والحواري الضيقة.. حتي اختفيت ـ كفص الملح ـ في الظلام.. ومشيت مهرولاً.. حتي اقتربت من مشارف المدينة.. التي فتحت لي جناحيها عند الدخول.. واستقبلتني كمخلص ــ هكذا سولت لي نفسي ــ .. هكذا سولت لي نفسي.. ولما احتواني ظلام المكان.. توقفت عن السير.. كي ألقف أنفاسي المتقطعة.. وأجفف نزيف العرق.. ويهدأ القلب المرتجف.. الذي كاد يتوقف من

الفزع.. استرحت لترجع إلى نفسي.. برهة قصيرة.. غفوت فيها.. أحلم، بامرأة بيضاء.. فارعة القوام.. بارعة الجمال.. وساقطة.. في الثلاثين من عمرها.. تدنو مني.. وهي تتكسر في مشيتها.. بخطوات كلها دلع ، ودلال.. وبحركة لولبية.. ترمي بنفسها عليّ.. تمسح علي رأسي.. وهي تهمس في أذني، تساومني بصوت كله نعومة ، ورقة.. وعطرها الأنثوي.. يطغي علي المكان.. وأنا لا أستطيع المقاومة.............

ـ بكم تبيع هذا الجسد ، المتعب اللزج المليء بالأتربة..؟

ـ بالطعام والمبيت علي سرير وثير وحفنة نقود !!!

ـهه.. هه.. هذا كثير جدا.. .

ــ إذاً فليكن بالمبيت والطعام.. ....؟!

ـــ وهذا أيضاً صعب.. .!!

ـــ إذاً فاختاري أيهما شئتٍ سيدتي.. ..؟!!

ـ وهذا أصعب.. !!

تنهض مسرعة.. وهي توسد الخد.. قبلة ساخنة.. وتنصرف.. تركب عربتها الشبح.. وتنطلق بسرعة البرق.. أجري خلفها.. فتختفي فجأة.. . "

استيقظت.. لأجد نفسي ما زالت.. في ظلامٍ الدامس علي مشارف المدينة الغريبة.. فضحكت من نفسي وضربت كف بكف.. ثم رفعت رأسي إلى السماء.. ومشيت بخطي ضعيفة.. موهنه.. تحسست جيوبي الخاوية.. الا من قطعتين من النقود المخرومة.. أخرجتهما.. ولوحت بهما في الهواء.. بحذر

شديدٍ وضعتهما ثانية في جيبي.. عصبت بطني بيدي من شدة الجوع.. ضربت ألأرض برجلي.. فتطاير حجر صغير من أمامي.. ورقبت فتاة جميلة جداً.. على الجانب الآخر من الطريق.. تشاركني الليل.. والتسكع اقتربت منها.. ....

ــ لو سمحتي الساعة كام.. .؟

استمرت في سيرها.. وكأنها لا تسمعني.. تشجعت ثانية.. وواصلت حديثي معها.. .

ــ غريب في المدينة.. وطالب منك نزهة.. ..

تبسمت.. . فشعرت بقلي يرفرف طرباً.. . وقفت في وجهها.. اعترضت طريقها.. ..

ــ كنت عارف قلبك طيب.. ... ؟!

قطعت سيرها... توقفت.. . التفت إلى باستغراب... حملقت باندهاش... ابتسمتً.. ثم فاجأتني بصفعة.. قوية علي وجهي.. وبصقت علي الأرض... ومضت تستأنف سيرها... بينما كنت واقفاً في ذهولٍ... ممسكاً موضع الألم.. وأنا أصرخ في ظهرها " يا مفترية "...

" أتنبه لصوت أجش.. . يقطع تداعياتي.. . وينتشلني من بئرها العميق.. ....

ــ نازل فين يا أستاذ.. ..؟

التفت.. كانت الشمس البردة.. تجنح للغروب.. والسيارة متجهة صوب البحر.. وما زال صوت المغني.. يشدو عبر المذياع.. بأخر أغنية.. لحبيبت قلبه الغائبة.. النائمة في قصر مرصود.. وهو يقول

" ستفتش عنها يا ولدي في كل مكان.. وتسال موج البحر وفيروز الشطآن.. وتغوص بحارا وبحار.. وتصير دموعك انهار.. وستعلم بعد رحيل العمر.. بأنك كنت تطارد خيط دخان ".. ....

وكانت السماء تكتسي عباءتها الرمادية.. وأسراب الطير تحلق في فضاء الكون المتسع.. ورائحة البحر تدغدغ مشاعري.. وموجه الأزرق ينتظر.. الجسد المسخن بالجراح.. وانكسارات الهزائم.. ليعبث به ويلهو.. ويغسله من.. ..

ــ شارع (**25**).. ...

ــ ما فتناءاه.. ......؟

ــ يعني أرجع المسافة دي كلها.. .....؟؟

ــ أعمل لك إيه يا بيه.. ما انت كنت نائم علي ودانك..!!

ــ.. ....؟!!

****

إحساس قابل للكسر

قصة قصيرة

يضع يده على فمه.. يكلمها.. ترفع رأسها تجاه حقيبتها الزرقاء.. وهي ترد عليه.. يبلع ريقه.. يضغط على نظارته.. يُثبتها.. يواصل كلامه.. تومئ برأسها.. وتبتسم.. يضع قدمه في وجه الجالس أمامه.. يمد يده يشير.. يهمس في أُذنها.. تضحك.. ينتشي.. ينبسط.. ينتشر الدم في وجهه.. أما انا يمتقع وجهي.. ويفور الدم في عروقي.. مغتاظاً.. نظرت إليها.. فابتسمت.. وألقت بصرها على الأرض.. وأناملها تضرب علي ساعة معصمها.. شردت هنيئة.. يسُّر إليها حديثاً آخر.. ترجع إليه البصر.. فاتراً.. فيتمكن من جلسته.. يسترخى على مقعده.. همّمّت أثب عليه.. أركله.. أصفعه.. ألقى به من نافذة القطار.. حتى ينطفئ بركان الغضب.. الذي تفجر بداخلي.. منذ رأيتهما يتحدثان.. تمنيت لو أن الأرض تنشق فتبلعهما.. أو تنزل عليهما صاعقة من السماء .. أو أني لم أرهما.. نظرت إليها ثانية.. فألقت عينيها من النافذة.. فتحت أجندتي السمراء.. قرأت.. الاسم "....... ".. العنوان.. ....! تاريخ أول لقاء بيننا.. .....! رقم الهاتف "...........".. ...

رأيتها هنا في نفس المكان.. صدفة.. والسماء تشتي علينا.. لن أنسى هذا اليوم ما حييت .. كانت صدفة جميلة.. أتغيرت فيها في ثانية .. جلست بجوارها مرتبكاً.. مرتعشاً من شدة البرد دار بيننا حوار.. لا أدري كيف بدأ.. أو كيف انتهي.. فقط أحسست حينها.. أنها نصفي ألأخر الذي طالما بحثت عنه.. ورأيت فيها إنسانة .. مختلفة تماماً وبكل المقاييس عن الآتي عرفتهن في البداية شدني جمالها الهادي.. والهدوء الذي كان يملأ وجهها البلوري المشّرب بالحمرة.. وأدبها الجم.. تضحك بصوت عالٍ.. ألتفت.. تضرب كفها بكفه.. يتألق وجهها.. يبرق.. تلمع عيناها.."أبوها رجل فاضل، وقور.. كان حديثه معي ينم عن عقلية متزنة.. ورأى راجح.. وكنت أسمع إليه.. وأنا أسترق النظرات إليها.. من حينٍ لآخر حتى لا يشك في الآمر، نظرت إليها ارتبكت أمسكت قلمي.. تلفت عن يميني.. فتحت صفحةً بيضاء.. وكتبت فيها أقول : " لو تأتى ألان.. . لو يأتي أُستاذي الفاضل الآن.. في تلك اللحظة.. لتريني ما تصنع.. حين تسمع وتري، بأم رأسك كتفه في كتفها.. وعيناه في عينها.. وهما يتهامسان ويضحكان.. ترى ما أنت فاعل.. .؟! وقد رأيت ما رأيت.. وسمعت ما سمعت..وهي تجلس مع رجلٍ غريب،غيري، لا أعرفه.. وقد التصقت الأكتاف.. والأرداف.. والساق بالساق وأنت الرجل الوقور.. الفاضل.. الرشيد.. هه.. هه.. لقد أكلت مخي بالفضيلة.. والشرف.. وكدت تجعلني مثلك.. مجذوب.. جعلت منك شيخاً.. . وصرت لك مريداً.. تسألني ولا أسألك..وتعترض عليّ، ولا استطيع

الرد عليك.. وأُسلم لك كل شيء.. وأؤمن به، ولا أعترض.. واعلم انك كاذب.. مخادع.. وعندما أراك قادماً .. أقوم إجلالاً.. وإكباراً.. وحباً، وكرامة.. وأؤاثرك بمقعدي.. لتجلس عليه وتتربع.. وأنا علي رأسك أقف.. أخدمك.. واقيك الزحام.. وحر الشمس، المحرقة في الصيف.. وبرد الشتاء.. لكني الآن أعترف.. أن ما فعلته قديماً.. ليس من أجلك.. بل من اجل فتاتك.. تلك المستهترة ، الــ........" والتي تقطع الآن.. كل حبال الوصل.. وتقلع كل ما زرعته.. من مسلمات جنونك.. في عقلي فاسمح ليّ الآن أن أقول لك بملأ فمي"طز فيك" نعم أقولها لك أنت.. فقد كفرت بك.. وبشرفك الذي تدعيه.. وفضيلتك المزعومة.. فأن فتاتك هذه.. اختارت لك.. مريداً أخر غيري.. ربما يكُن أبر مني.. يحافظ على عهدك.. ولا يعصي لك أمراً.. أو يسألك عن شيء.. وإن مرقت من يديك.. فلا تضيق صدرك مني زرعا.. ولا تحزن واطمئن.. لن تدعك فتاتك بدون مريدين..وأتباع كُثُّر، يطرقون بابك.. يطلبون رضاك.. ويرجون فتاتك أما أنا من اليوم.. كفرت بك..ونفضت يدي وطهرت وألقيت عهودك كاملة.. في المرحاض . تبرأت منك، ومنها.. وبرئت.. فلتقل أنت ما تشاء ولتضحك هي لمن تشاء.. وعلي من تشاء... " تنتهي الصفحة.. أقفل الأجندة ببطء.. وأرفع رأسي.. أتمطى أشعر براحة غريبة.. وهدوء غريب يملأ نفسي.. وقد هدأ بركان الغضب.. رميت عليهما.. نظرة أخيرة بارة.. تضحك.. وهي

تهمس في أذنيه.. وهي تضحك.. يقترب القطار من المحطة.. أنهض.. أُنزل حقيبتي.. أتمشي في ردهة القطار.. بتؤدة.. ..لا ألتفت إليهما.. وأنا أُغادر مكاني.. ترن في أذني ضحكة مفتعلة.. أضحك في نفسه.. أُقفز جاكت الجلد والقطار يدخل المحطة.. وأنا أخذ طريقي إلى الباب.. والرصيف يعج بالركاب.. ....

****

حوار طويل جداً

قصة قصيرة جداً

ابتسمت له.. وهي تغلق الباب.. تسمر مكانه.. جلس يفكر.. حدثته نفسه.. بأشياء كثيرة.. أدار بينه وبين نفسه حواراً.. طويلا جداً.. عرض رأيه.. والرأي المقابل.. افترض أشياء.. ثم أعترض عليها.. وافق.. ورفض.. علل.. وحلل.. ما رأى.. وما مر.. وما حدث.. منذ قليل.. ولما أحتد الجدل بينه وبين نفسه.. وأضناه الأخذ والرد.. سكت وأنهى النقاش.. ؟؟

****

المهرج

قصة قصيرة جداً

وقف المهرج.. وجه نظيف.. ثياب جديدة.. حذاء لامع.. رائحة طيبة.. فظن الناس أنها لعبة جديدة.. فراحوا يصفقون، يضحكون، يتغامزون.. بينما وقف المهرج، يجهش بالبكاء.

المجادلة

قصة قصيرة جداً

قال الشيخ للتلميذ: مثل المرأة كالأرض،
قال التلميذ:عذراً يا مولاي.. المرأة كالثعبان
قال الشيخ : المرأة كالنخلة،
قال التلميذ : المرأة كالنار،
قال الشيخ : المرأة تنبتنا زيتوناَ ، أو شوكاً،
قال التلميذ : المرأة التي تتحدث عنها عقمت يا مولاي.. !.
قال الشيخ للتلميذ : تأدب يا هذا.. المرأة إنسان..
قال التلميذ عذراً مولاي.. المرأة إنسان.. !

****

أدراج الريح

قصة قصيرة

ظل واقفاً منتظر الأوامر.. عدل من هندامه.. رفع راسه.. ونتبه.. من جهة اليمين.. كان الصوت.. جهورياً.. كموج البحر الهادر.. لم يلتفت إليه.. .

ــ أرقد.. !!

لم يفكر.. نسي كل شيء.. إلا كلام المُعلم.. وهو يشرح له خطورة الموقف الذي هو واقف فيه.. دارة الدنيا برأسه.. نسي حبيبته.. وأمه، وأبيه.. والناس أجمعين.. في تلك الحظة الرهيبة.. فالموقف صعب.. ولا يسمح بالتفكير.. كان يجب عليه أن يكن يقظاً.. منتبهاً وإلا سيكن في خبر كان.. ما زال الصوت يدوي. في محيط اذنيه.. وهو ينظر إليها.. وهي راقدة أمامه في سكون رهيب.. وهي مستسلمة تماماً.. ..

ــ الغلطة بفورة يا حلو.. .!!

نظر إليها، وهي راقدة أمامه.. فوق " البطنية ".. تثيره ، تغريه.. لم يُطِل إليها النظر.. رفع رأسه لسماء.. تمتم بكلماتٍ غير واضحةٍ.. وفي نفسه خيفة منها.. حدثته نفسه بأشياء كثيرة جداً.. رجع للوراء.. بخطوةٍ مطربة.. كاد أن يوالي.. هم بالفرار.. لكن الصوت.. الذي يأمره.. من جهة اليمين ينهره بشده ....

ـ يا غبي ارقد بجوارها.. ..؟ !!

اهتز كنخلة في مهب الريح.. وهو يتهاوى عليها.. رقد بجوارها لم يلمسها غض من بصره برهة.. انتفض كعصفور بلله المطر.. البارحة اتته امه. في المنام باكية.. فأخذ يبكي معها.. وهو لا يدري.. لم البكاء.. وفجأة رأي كأن أباه قد مات.. فذادت حدت بكاءه.. كثيراً ما يأتيه هذا الحلم ، المفزع الذي طالما أعياه.. البحث عن تفسيره.. في الكتب الصفراء المتأكلة.. كل الذي وصل إليه من علم.. إنه يكره أبويه.. ويحبهما في نفس الوقت.. استيقظ فزعاً.. قلقاً فهو لا يرغب ان يمتد الحلم.. أكثر من هذا.. أستعاذ بالله من شره.. تفل عن شماله ثلاث.. شعر بالحنين يفت في عظامه.. ويمزق شغف فؤاده.. شوقاً إلى مسقط رأسه.. تذكر انه لم ينزل بلدته.. منذ ثلاثون يوماً ، شهراً كاملاً.. نهض قائماً.. أرتدى حذاءه، وسترته.. نظر في ساعة يده.. كانت الثانية صباحاً.. لم يوقد المصباح.. تلفت حوله.. الكل يغط في سباتٍ عميق.. والشخير ينبعث من فوق الأسرة.. ابتسام في نفسه كان نفس الصوت يأتيه.. من جهة اليمين.. لم يلتفت إليه.. فالحركة محسوبة عليه.. بطرف عينه الشمال.. نظر إلى من بجواره.. كان منبطحاً مثله.. وهو يضحك عليه.. امسكها بين يديه.. نظر إلى الهدف.. استجمع كل قواه وأشحذ همته، وعقله.. ضغط ، مؤخرتها في تجويف كتفه اليسرى.. اغلق عينه اليمنى.. كتم نفسه.. مرر شعاع لبصر من "الناشنكان " الخلفي إلى أعلى سن الدبانة.. ضبط.. أسفل منتصف الهدف.. توقع الانفجار.. راها تبكي

أمامه.. حينها ضعف.. امام قطرات الندي.. التي تسيل فوق وجنتيها البرجوازية.. يسقي الورد الصابح.. وهي تضغط علي شفتها العنابي.. بصف لولي ناصع.. اخرج بيده منديلاً ورقياً.. دفعة إليه بحنان.. فرفضت اليد الممدودة إليها، بلطف.. متعللة بأن المنديل فراق.. فأردف دعيه لذكري كان مشفقاً ، محباً ،متيماً.. وكان ينجح من أجلها.. طلبها من ابيها ذات يوم وكانت صغيرة، لا تتعدي السادسة عشر.. لحظتها كانت تتسمع حوارهما من خلف الباب.. حينها تعلل ابيها.. بأنها لم تزل صغيرة.. وبأنه لم يزل في الجامعة.. والعمر طويل ممتد.. وحين تخرجّ من الجامعة.. وأصبح الناس ينظرون إليه نظرة.. مختلفة تماماً عما قبل.. وذهب إلى أبيها ليفي بوعده لكن أباها لا سامحه الله رفض.. سبع سنوات كان مخدوعاً في حبه.. دمرته وحطمت أحلامه.. التي بناها في الخيال.. فحبه لها كان أعرج.. وفي آخر لقاء بينهما.. سخرة ، وضحكت عليه.. تنفس نفساً عميقاً.. ظل صامتاً.. لا يتكلم.. والدم يغلي في عروقه.. عندما راها تقهقه ساخرةً منه.. اغمض عينيه اليمنى.. وضغط عليها بكل قوة.. ورماها من يده.. نظر إليها.. وهي فارغة، تافه، لا تساوي شيئاً.. وهو منبطح فوقها.. منتظراً الأمر.. عندها، شعر بارتياح غريب.. تنفس نفساً عميقاً.. ابتسم في نفسه.. وقد رُسمت علي شفتيها ابتسامة رضي عليه.. .. ..

ــ أمن ونهض.. ...؟

رفع فمها للفضاء.. ضغط على الزناد.. رفع السقاطة.. نهض يعدل من سترته.. وحزامه المنسل عن وسطه.. ووقف سابتاً بلا حركة.. منتظراً الصوت.. يأتيه من جهة اليمين

ــ لليمين دور.. ..

راها تسير بجواره.. تقلد مشيته.. معيبة عليه.. وساخرة منه، ومازحة يبتهج في نفسه.. متمنياً ان يمسك يدها.. ينظر إليها بطرفٍ خفي.. تضحك تجري أمامه.. وهي تخرج له لسانها.. يمد يده ليمسك بها.. يأتيه الصوت من أمامه يقيده

ــ " قف ".. ؟؟!!

يتسمر مكانه.. يسحب يده بسرعة.. يرفعها علي جبهته.. بطنها للأرض وظهرها للسماء.. ومن أقرب طريق يرميها مكانها.. بعدما يعد ثلاث.. ويثبت كالمسمار فوق الأرض.. منتظراً النتيجة من صاحب الصوت.. الذي كان يأتيه.. من جهة اليمين.. رفع رأسه معتز بنفسه.. مبتسماً في سعادة بالغة

ــ واحد .. ؟

ــ أفندم.. .؟

ــ صفر يا غبي.. . ؟!!

نكس رأسه خجلاً وقد تبخرت.. الابتسامة أدراج الريح.. قعد خلف

الصفوف.. وسط رفاقه.. اشعل سيجارة في الخباسة.. شرد قليلاً.. في وجوم.. داعبه الرفاق.. الحائرون.. في أمره.. فقد عودهم علي الفكاهة والمرح.. داعبوه ثانية.. حتي أضحكوه بصوت عالي.. فضحكوا منه، وعليه.. وهو يضحك معهم.....!!!

****

اختلاس

قصة قصيرة

اتكأت علي الجدار.. الذي يحمل الخص.. تمسك بطرف ثوبها " العنابي".. نظرت لحماتها.. التي تجلس أمام التنور.. "قلبت الخبز".. تفرك العجوز عينيها.. وهي تنفخ في فتحة الفرن الصغيرة.. يتصاعد الدخان الأسود.. ترد عليها.. وهي تدفع بقبضة من " الوقيد " داخل الفرن.. " هاتيِ وقيّد.. وغسلي العجّان ".. تنحني.. تتأبط حزمة من الحطب.. فتتدليّ رمانتاها.. يتظاهر إنه لم يري شيئاً.. تضع الكومة بجوار حماتها.. يدّس عيّنيه الجريئتين.. في الصحيفة التي يمسكها.. تصفعه ضحكات .ذات مغزي.. يسيل عرقه شلالات.. تجلس أمامه.. فتفجر كل كرات الدم الحمراء.. في وجهه الأسمر. تشمر عن ساقيها. تكشف عن ساعديها. تضع "العجّان" بين فخذيها.. فيلجمه العرق إلجاما.. تدير يديها يميناءً ويسارا.. يقلب صفحته المثلي وحين تشعر بيه تزداد ضربات القلب.. تتجاهله.. فيهدأ بعض الشيء ولكن عيناه قد صارتا قطعتين.. من الجمر الملتهب لجسدها الأشقر.. وأردافها البضُّ وهي تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ.. أو كراقصة متمرسة.. تقرص وجهه بنظراتها.. من حين لآخر تتنهد.. فيرتفع الصدر ويهبط.. يضعف.. يُصّعق.. وتنهزم كل جيوش المقاومة بداخله.." شيطانه ".. لكنها

عفية.. تجعل دمه يهرب.. كلما تطلع له.. يتلفت حوله.. فيموت في جلده.. حين يري طفلاً صغيراً.. يضّبط " أريل التلفزيون " علي السطح المجاور.. وصوت أمه الخائفة عليه.. ينهره .ويحذره من الشمس.. حتى لا تأخذه.. وترجوه ينزل بسرعة.. فالشمس ساخنة.. تتأوه.. تضحك.. وحين تسألها لعجوز.. عن سر الضحك.. تقول.. " لا شيء ".. يهرش في رأسه.. تطلب منها أن تفرغ بسرعة.. حتى تفرط الخبز.. فتنفض يديها.. تنهض مسرعة.. لتحمل فوق رأسها الخبز.. تنزل.. يتصلب علي الكرسي.. الخشبي.. ينتظرها أن تعود.. تتحرك الشمس.. فلا يتحرك من مكانه.. حتى دنت الشمس فوق رأسه وضع صحيفته في الاتجاه المعاكس.. ليتقي بها حرارة الشمس.. تناديها العجوز.. لتأخذ بقية الخبز يشرأب بعنقه تصعد مهرولة.. وهي تنظر إليه.. تتنهد.. يزيغ البصر هنا وهنالك..عندما تضع ما في يدها علي الأرض.. ثم ترفع فوق رأسها الطبق.. وتنزل في بطء.. وهي ترمقه.. بنظرات حادة.. وقاتله.. وعندما تغيب.. يطرح ظهره إلى الوراء.. وهو يهز رجليه ويتنفس.. . و.. ....

****

دخان الشتاء

قصة قصيرة

في البدء .. كان صياح ديكة.. والشمس طالعة.. والشكنات الريفية.. يتصاعد منها دخان الحطب.. وكانت أرض واسعة.. وسماء دائمة البكاء .
وكان والد وبنت.. الوالد شقي وعفريت.. هكذا ينعته الجميع.. عوده اخضر كسنابل القمح.. يفهم "هرش البنات " وحين يندس وسطهن.. يصيخ السمع يضحكن.. ويقطعن حديثهن.. عن العريس المنتظر.. ولليلة العمر.. وبيت العدل.. والبنت بدر لم يكتمل تمامه.. تحب الولد الشقي.. ولا تلعب إلا معه

ـ تبجي نلعب عروسة وعريس.. .

ـ لا.. . نلعب الثعلب فات فات.. .

ينتصف النهار.. تحت جزع النخلة العوجاء.. المرابطة علي الطريق.. براقصها الريح.. تسكنها جنية.. .عاهر.. عندما تنقطع الرجل عن الطريق تظهر عارية تماما.. حاسرة الرأس.. وتقول روايات القرية أن.. "خلف هنشر " ذلك الرجل الآدمي.. الذي تحول حاله.. فجأة.. ونطوي علي نفسه قد تزوجها.. وأنجب منها أطفالا صغارا.. كثيراً كان الناس يسمعونه.. يحدثهم

بكلمات غير مفهومة.. فإذا ما سأله أحد.. عما يتمتم به يهرش في جنبه .. ويقول.. ..

ـ " والله ما أنا عارف "

وكان المطر يغسل القرية.. ليلبسها ثوباً اخضر.. فتصبح مبهجة للعيون وزنابق الحقل.. لا تفتأ ترفرف تحت الفراشات.. والعصافير الملونة.. والولد والبنت يقفزان.. يضحكان.. يلعبان.. يمرحان.. تحت النخلة العوجاء.. فالجنية لا تظهر للأطفال.. منذ تزوجها.. " خلف هنشر ".. يأمرها ألا تظهر لسواه.. يأمرها فتطبعه.. ابتسم لها في قيلولة.. لم يخف منها.. لم يعنفها كباقي الرجال.. الذين عرضت عليهم أن يسّيجُوا براحها فعشقته.. فسكنت فيه.. فتزوجها.. البنت تبتعد عن الولد الشقي.. العفريت.. تجري في المكان.. تلهو تلعب.. تضحك.. فتفصح عن جُمان.. والريح يداعب سعف النخيل.. وشعرها الذهبي.. وطرف رداءها.. تدنوا متبخترة.. مسفرة عن بدر.. مكتمل تمامه .. تقف ترنو في صمت جميل .. بينما الولد الشقي.. يصنع حصاناً.. وسيفاً من جريد النخلة.. ليضرب به طواحين الهواء.. وهو يصيح بصوت رخيم.. والنخلة العوجاء.. ترتجف علي الطريق.. ويدوم اللعب.. والضحك.. حتي إذا ما بدأ يظهر.. "خلف هنشر" يدب علي الطريق أشعث.. أغبر.. رث الثياب والهيئة.. ذو عمامة مهربدة.. وقامة طويلة.. وقامة طويلة.. ومنكبين عريضين.. يهرش في جبينه.. وهو يبتسم للهواء.. يمتطي الولد الشقي صحوة حصانه الجريد.. شاهراً سيفه..

وردفه.. البدر.. الذي لم يكتمل.. يصهل كالحصان.. يضرب قدميه الصغيرة الأرض.. والبنت متشبثة في أهدابه.. وهو يدير رأسه كالحصان.. يتنحنح.. وينطلق بقدمين حافيين في الأرض الواسعة أمامه قبل ان يصل إليها.. " خلف هنشر ".. والريح تصفر.. فتزمجر الأشجار العتيقة.. والمطر يهطل.. وينهمر بغزارة.. والبرد صولجان.. والشمس غائمة.. والأولاد محتشدون عند الجسر.. يهتفون بكل قوة.. أنشيد ساذجة.. تستحث المطر كي يرخ "حجارة حجار أو عنب وتين" يدخل الولد الشقي.. والبنت وراءه.. وسط أمواج الصبية المتلاطم.. وهم يجوبون الشوارع.. والطرقات.. ويهتفون في وجه السماء.. ويظل الموكب يسير حتي المساء.. والولد الشقي يضرب بسيفه في كل اتجاه.. حتي وصلوا إلى "السبيل المهجور" بجوار "جنينة صدقي" عند الجسر الحربي.. ذلك الذي يسكنه "خلف هنشر" في الشتاء يرتعد الأطفال من السكون الذي يخيم المكان ويلف" السبيل المهجور.. يفزعون.. ويفرون في عشوائية.. فيصيح الولد الشقي فيهم يجمع شتاتهم من جديد.. ويسلك بهم طريقاً آخر وهو في المقدمة.. يهتف.. وهم خلفه يرددون

ـ " مطري يا مطرا.. ....

وكانت الشمس تميل للغروب.. والبنت تلتقط التمر.. المبعثر تحت جزع النخلة.. تملأ جيوبها.. والولد الشقي يرج النخلة بالحجارة.. ثم يجلسان.. يقتسمان ما جمعت من الحب بينهما.. ويفترشان الأرض.. يتفرس خضرة عينيها.. يهدأ الكون من حولهما.. ويرقد في سكون جميل وقد هدأ المطر

قليلاً.. والشمس تبتسم في خجل من خلف السحُب البيض.. وهي سائرة في بطء.. متشكلة بأشكال حسنه.. فوق النخلة المرابطة علي الطريق.. والعصافير تزقزق . والقمري.. البنت تقطف من زنابق الحقل.. زهرة صفراء.. تنحني عليه ضاحكة.. وهو يرفع عقيرة صوته بالغناء.. تضع قبلة علي خده الصغير الأبيض.. وبصوت ناعم :

ـ تفضل.. .

ـ اللّٰه.. . حلوة قوي.. ...!!

ـ أعجبتك.. .؟

يومئ برأسه.. راضياً صنيعها.. فجأة.. يميل نحوها.. يُقبلها بغتة.. تنهض واقفة.. ابتعدت.. وقفت.. أطرقت.. صمدت.. وخديها حمراء من الخجل.. وشعرها الذهبي أسكن هوجته المطر.. برهة قصيرة.. تدنو منه.. تمد يديها الصغيرة البيضاء.. الملتفة.. توقفه من جلسته.. والشمس تلملم خيوطها الأخيرة.. من فوق الأرض وشواشي النخيل.. والسكنات الريفية يتصاعد منها دخان الحطب.. وصياح الديكة.. وفي الليل يزيلان ما علق بهما من الطين.. والغبار ثم يأتيان الجد العجوز.. يلتفان حولها أمام النار.. تحت المصطبة في وسعة الدار.. والحطب المشتعل يطقطق.. والسنت اللهب تمتد لتلفح الأيدي الصغيرة.. الملتمسة للدفء.. وتنير الوجوه البريئة

ـ الدفء يا العين يا أولاد.. ...!!

ـ أحكي لينا يا ستي.. ....؟!

تضحك العجوز.. حتى تظهر نواجذها المخلوعة.. تقترب الحطب من النار وتنفخ الدخان الكثيف..الذي يلف المكان.. .

ـ ما اشبعوا حكي.. ..؟!

تستند علي يديها.. تنهض في بطء.. تسرج المصباح.. " نمرة عشرة " تضعه بعيداً عن الخص.. وأيدي الصغار.. في كوة في الحائط.. حالكة السواد .. وتعود وما زالت أثار الضحك فوق طرقات وجهها الذي حفرته الشيخوخة.. والمرض

ـ أحكي لنا عن العفريت.. والنبي يا ستي.. !!

تضحك العجوز.. وتبدأ مثل المعتاد.. " تصلي علي النبي ".. والولد والبنت مرهفي السمع.. . وكان الدفء.. وكانت البراءة.. والسعادة ترفرف في جنبات البيت الكبير.. والأرض الواسعة.. والسماء مرصعة بالمصابيح.. .

....

....

....

..... يقول الراوي :.. .

" ذات صباح.. اختفت البنت الصغيرة.. أما الولد الشقي بحث عنها فلم يجدها.. وسأل الجدة العجوز والبنات الآتي يهرشن.. ولما يئس.. وتعب.. جلس كل يوم.. تحت النخلة.. علي الطريق.. يده علي خده حزين.. يرسم

ويكتب.. .. ولما دار الزمان واستدار.. وصار الهلال بدراً مكتمل.. . عرف الولد الشقي أن البنت.. التي أحبته صغيراً.. تزوجت ولداً آخر.. .. وأنبتت له سبع سنابل خضراء.. أما "خلف هنشّر ".. أمسي
صورة معلقة في فاترينة.. واقفاً كهبته القديمة.. يده في جنبه.. يهرش.. وهو يبتسم للهواء.. ....

****

أحلام

قصة قصيرة

جلست تحدق في المرآة.. رأت صورتها باهتة جدا.. وواهنا.. تحسست جسدها الممتلئ قليلاً ، برهة قصيرة فكت ضفائرها.. فنساب ليل بهيم.. نشبت فيه أظافرها حللته.. مشطته.. ثم رمت به.. في كل اتجاه.. لملمته ثانية بين يديها.. تأوهت.. ثم بعثرته مرة أخري.. مدت يدها البضة.. أخرجت علبة ماكياج صغيره.. التي أشترتها من مصروف جيبها.. في العيد الكبير.. حددت حاجبيها.. بدقة متناهية.. بعدها مسحت وجهها بعناية فائقة.. رسمت شفتيها المستديرة "بالروج" سكبت علي يديها.. من قارورة الطيب الفاخر.. فركت بيديها مسحت انفها.. وخلف قرطيها.. هزت رأسها أنتشاً.. وهي تدفئ يدها.. في صدرها الصابئ.. ترمقه بنظره سريعة يبتسم.. تومئ برأسها.. تنهض متكسرة في دلال.. تتلفت حولها في زهو تتقدم بخطأ واثقة.. تنظر إليه بكبرياء.. وقبل ان اتصل إليه.. ترجع مهرولة إلى المرآة.. وكأنها نسيت شيءً ما.. هنالك تنحني لتعد من جديد وجهها علي المرآة.. تنظر إليه ثانيةً.. تعض شفتها السفلي.. تمرس وجنتيها بأناملها.. وتمسح حواجبها بعناية.. ترمي ببعض الخصلات علي جبهتها تضغط علي خصرها النحيل.. وتتمطى.. تدندن..

ـ " يتشوف لك حل في حكايتنا يا تعزل وتسيب حتتنا "

تقترب من الشباك .. تشد ستائره البيضاء.. وهي تزدري الليل المترامي في الأفق.. تضئ.. " الأباجورة الحمراء ".. ثم ترمي نفسها فوق السرير تحتضن صورته بين زراعيها الحاسرة.. فتشعلها الذكريات المحمومة.. ترمي بحذائها بعيداً.. تطفئ مصباح الغرفة.. فتبدو صورتها في المرآة.. باهتة جداً.. .....!

****

اللوحة

قصة قصيرة

ما أشبه الليلة بالبارحة.. ثمت شيء لم يتغير.. كانت لليلة قارسه والبرد شديد كتلك الليلة والمطر ما زال يهطل والفضاء المترامي الأطراف كغول يستتر خلف النخيل المرتعش والنافذة الزجاجية

ــ كل شيء قد تبخر

الريح تصفر.. فتزمجر الاشجار العتيقة لقد عشش العنكبوت علي الشرفة المجاورة صار يعلوها أكوم من التراب الناعم فلم تعد تنظر منها " زيتونة " منذ ان رحلت إلى القاهرة فكل شيء يملأه الفراغ والملل.. حتي تكعيبة العنب وشجرة الفل التي كانت ترويها بضحكاتها الصباحات وتداعبها خصلتان من شعرها الحريري الفقي اللون

ــ كل شيء تبخر.. ..!

ــ لكن تغيرت كثيراً عندما رايتك.. ؟ " صدقني "

تتسع الابتسامة العريضة بين شفتيها.. . المستديرة.. . فتتسع خطواتي علي الاسفلت .حتي اخرج من دائرة الظل.. يزداد بريق عينيها لمعاناً.. وتألقاً.. تلملم دهشتها ثم تلقيها صوب الحقول الخضراء.. القطار يترنح يتأرجح.. فوق القضبان.. الحديدية.. طيور النورس تحلق فوق الماء.. هنا كان أول

لقاء.. كانت شاردت الزهن.. بيدها دفتر صغير.. وفرشات ألوان.. بمكر استفززتها بحجر.. فتخطاها.. واصاب البحر.. فطرطش الماء فوق الدفتر.. فثارت غاضبة.. اذكر أنها وبختني كثيراً.. لكني كنت.. في " كريزه من الضحك ".. الحاد وكاد الموقف ينتهي إلى الشرطة.. لولا رجل وقور.. تداخل في الوقت المناسب.. اخذها وانصرفا.. وكنت أكرر هذا عمداً.. كلما رايتها تخلو بنفسها.. وبيدها الدفتر وفرشة الألوان " والكاسيت ".. وكانت تفزع عندما تراني .. وتجري مهروت وهي تصيح.. ـ

ـ" مجنون.. " مجنون ".. ..!!

وبعد مشقة استطعت ان نصبح صديقين حميمين.. نخلوا أحياناً إلى النهر عند الغروب.. نرثي.. الشمس التي تغرب وحيدة.. ونهزأ بالعاشقين.. وربما كنا نقلدهم أحياناً.. لكن دوماً تذكرني بأننا صديقين وفقط.. وكانت تقول وهي تسكن خلف أذنيها.. بعض الشعر الثائر.. .

ـــ الصداقة كنز لا يفني.. . لكن الحب.. ....!!

اذكر اخر مرة... تأخرت عن موعدها.. فكدت أجن.. وكان النادي شاغراً.. وفنجان القوة العاشرة يضعه الجرسون أمامي .. والسيجارة.. ال.. ..... " كانت تلسعني.. ثم اقبلت وهي تحمل بين جناحيها.. مظروفاً من الورق الأصفر.. .. وفوق شفتيها باقة ورد حمراء ..

ـــــ معي لكي مفاجأة.. ......؟

كانت صورتي.. وفي وسط اللوحة نجمة وولد يجلس فوق التل.. والماء جداول.. وغزالة ترعي العشب اليابس.... والشمس تطل من بين الأغصان تحملها اجنحة طائر

ـــــ كل شيء تبخر.. ....؟

وكانت الشوارع تضيق بالذكريات.. والليل كان كئيبا.. يشبه كلمة قالتها في آخر لقاء

ـــــ لا اريدك.. ....؟!!

العربات تقف أمام اللون الأحمر... تمر جنازة والناس قيام.. يترحم رجل وهو يربت علي كتف امرأة شقراء.. تمثال لجندي يتوسط الميدان.. والأم كانت توصيه.. أقف استرق السمع.. الأضواء تتراقص فوق الماء البرد.. شديد.. الصوت يجلجل.. يقهقه.. يجلجل.. أضع أصابعي في أذني.. استغشي ثيابي.. يجلجل.. أصرخ.. يجلجل.. اتساقط.. والمطر ما زال يهطل.. تبتل اللوحة.. تضغط فوق الفرشة.. تمتزج الألوان في اللوحة.. فيصير الولد حماراً.. تنطفأ الشمس.. تسود اللوحة.. الليل كئيب.. يشبه شيطاناً اخرس.. وفمي قد صارة مدخنة . يتهادى صوت المؤذن.. يتثاءب فوق المدينة.. . وأنا علي أطرافها.. . كنت أسير.. بخطي.. موهنه.. واهنة.. .....

التآكل

قصة قصيرة

لملم أوراقه في بطئ.. استدار قائماً.. نظر في ساعة الحائط.. بينما الشمس تنعكس من الزجاج.. يخرج نظرته السوداء.. من جاكت البذلة الرمادية يرتديها.. يقترب من الدولاب.. يمسح بيديه - ذات العروق الناتئة - أحد الرفوف.. يمسك دوسيه.. تأكله ألوانه الرمادية.. ينفض عنه التراب.. يحملق بعض الشيء.. نحو المباني العتيقة.. فتتراء له الأشجار.. والعربات كنواة.. القطار يخترق صوته محيط اذنه.. الثقيلة المكتب كان يحمل جبالاً من الملفات.. قد بدأ عليا التأكل.. فمنذ' استلامه العمل وأوتي به إلى هنا حيث المكتب الخشبي الذي يئز دائماّ.. والدولاب التي تئن رفوفه من كثرة ما حمل.. يجلس بصعوبة بالغة علي الكرسي.. .. الذي ما زال في مكانه علي الرغم من تهاوي الكثير.. من عليه.. يتوارى خلف الدسيهات.. يفتح درج المكتب.. يشعل سيجارة.. يطرق هنيه.. بينما تطير عينيه علي.. علي النتيجة.. ترتعش يديه بالقلم يسحب نفساً عميقاً يضع إحدى رجليه علي الأري تسلل إلى أنفه رائحة غريبة.. يصحبها صوت غريب.. فتدور عينيه في الغرفة ينهض مسرعاً.. يشتم تلك الرائحة.. فهو يعرفها جيداً كان يتخلل بين الرفوف.. ككتائب قناصة تسحف ثم تتجمع القهري حيث المكتب..

وفجأة وبعد محاولات دؤوبة.. انقض كقط متمرس.. علي فأر صغير.. يقفز عليه.. يركله برجله.. وهو يرتعش.. فيعود لمثلها.. ثم يستدير بخطوات واثقة.. يجمع شتاته.. يكلم صدره بقبضته.. الموهن .. يبتسم.. مزهواً وهو يطوح بالفأر من النافذة.. .. ....؟!

****

أرجوزة

قصة قصيرة

السماء ملبدة بالغيوم.. ساعة المحطة العتيقة.. توقف عقربها المجنون عن القفز.. الواحدة ونصف ـ الأرصفة شبه عارية.. تقترب من شباك الاستعلامات.. تستدير.. بطريقة دائرة.. تملأ رأتيها بالهواء.. تضم يديها البيضاويين في بطء.. تنفخ فيهما.. ثم تدسهما تحت جناحيها.. تجلس علي اقرب اريكة.. كجردةٍ مقددة.. تتأمل السماء.. مرهقة كانت وخائفة.. تستدعيها الذكريات.. عيناها السوداويين تحتضن ابنية " الساحل ".. ذات الطابق الواحد.. القابعة خلف كثيب من الدخان الأبيض.. يصيح علي احد البيوت ديك.. فتبتسم.. فهي تعودت أن تراه في ذلك الوقت.. في كل يوم.. تصعد فوق البيت وبيدها كتاب.. تقرأ بصوت مسسموع.. فهي دوماً كانت تحب مداعبته.. وتضحك من الأعماقِ عندما تراه مغتاظاً.. احتتوتها اخر عربة وهي ترمي بالنظرة الأخيرة علي ميدان "رفاعة" المقتظ بالموشاة.. عجوز في حوزته طفل.. وأمراة في سن الأهرمات..

ـ السلام عليكم.. ؟

ــــ.. ....

قليل من الصمت .. الأصوات خافتة وكأن المكان أرجزة ناي.. تطرح رأسها للوراء تلف يديها بأحكام.. وكأنها تحتضن شيئ ما.. "عندما رأته جالساً امام البيت.. تملكتها الدهشة.. وبدأ عليها الآستغراب.. بينما يقفذ في حالة من الذهول.. وهو يكبس يديه في جفنيه.. مرة تلو الآخري ".. القطار.. يتأرجح فتهتز الآشياء.. الافواه شبه مغلقة.. النعاس يتسرب إلى عيون العجوز.. فتسقط رأسها ألياً علي ظهر الصبي.. الذي يتدلى نصفه من نافذة القطار وهو مبتهج.. بمنظر الربيع الأخضر.. واعمدة التلفونات..

ــ واحد.. . اتنين.. . ثـ.. .

يتلعثم.. فيبدأ العد من جديد..

ــ واحد.. ..

يتلعثم.. تبتسم.. كان ملائكي الوجه.. شعره قطعة من الليل.. عيناه ماسيتان.. العجوز تصدر من فمها شخيراً.. تتنبه علي سعال الرجل الذي يليها.. يخرج منديله.. ليضع فيه ما قذفه الجوف.. فتتقزز.. " كان المطر غزيرا والبرق يقذف بكميات كبيرة من الضوء.. " تنتفض.. بينما الطفل.. يمد يديه ليلتقط حبات المطر.. المتساقط من خلف الشيش.. فلملم أبعاضه الموهنة.. بين يديه.. متقفقفة.. متزفزفة.. يخلع جاكته الجلد.. يلفها تحت زراعه.. وعقارب الساعة تقفز في بطء.. تتنهد.. متململة.. وعقارب الساعة تفقفذ في بطء

الشحاذة

قصة قصيرة

ألقيت بنفسي من نافذة القطار.. تكومت فوق الركاب.. ركلتني بعض الأقدام.. أخيراً استطعت أن أتخلص من الزحام.. ." أف "... وضعت حقيبتي فوق أحد الرؤوف جلست أمام غادة حسناء.. " فمها مرسوم كالعنقود.. ضحكتها أنعام وورود.. والشعر الغجري المجنون.. يعبث به الهواء.. غمزة زميلتها التي لحظة اهتمامي بها ابتسمت.. وهي تلقي كلمة في اذنها.. استرخيت علي مقعدي.. متجاهلهما تماماً عبأت راتي من الهواء المعطر.. المزوج برائحة العرق.. بينما هي راحت.. تسترسل عن الغسيل.. والقرط الذهبي.. الذي اشترته لها امها.. وعن شغل البيت الذي هدها. القطار يطوي المسافات طي. يقترب الكمثري.. يطرق علي دفتره بالقلم

ــ تذاكر .يا حضرات.. .؟

فكت كيس نقودها.. سكبته في يده المرتعشة.. لملمت طرف ملائتها السوداء.. التي تنم عن هويتها " شحاذة ".. لا بأس فلتكن ما تكون.. يزمجر القطار.. يقترب من محطة " صدفا " قطعان من الطلبة يعتركون على المقاعد.. عسكري يتخطى الرقاب.. وبجوزته أمراه شابه.. اعرفها جيدا.. يضعها بجواري ثم ينصرف.. القطار ينساب كالشبح بين المزارع والنخيل

المرصوص والمستوطنات الريفية ذات الطراز المتميز.. أشعلت سيجارة أخيرة كانت في جيبي.. اسمعها تهمس في أذن صديقتها.. وهى تضحك

ـ لو ان لنا شقه ها هنا.. ....؟

لكن صديقتها حذرتها.. من كثرة الأحلام.. ونصحتها ان تنتبه.. حتى لا تنزلق قدمها تحت عجلات القطار.. تشيح بيدها البيضاء الملتفة في الهواء ، ضاحكة بملء فيها وهي تقول "يا اختي خلينا نحلم شويا تتنحنح" المرآه السمراء.. تتململ تضع رأسها في يدها.. ترفع رأسها ببطيء.. في اتجاه حقيبتي.. تضع ساقا علي ساق تلقى بصرها نحو عيدان الذرة الخضراء.. وانا ما ازال جالسا في وجوم.. مكتوف الأيدي.. وكأني (أبو الهول الثاني).. والقطار يتهادى وهو يترنح وهو يقترب من محطة " طهطا " اهيط من سلم القطار.. أسير علي الرصيف.. وأنا أحمل حقيبتي

تحتضن عيناي المرتبة.... مباني البلد الطيب.. ....

****

دوار

قصة قصيرة

لم أكن أتصور أني سأراها..في عرس جارتي أحرستني المفاجأة.. دار في خلدي المثل الدارج.. (رب صدفة.. خير من ألف ميعاد) جلست في وجوم بعدما أصبت بدوار داهمتني الظنون.. وكان علي أن أتماسك.. حيال هذه النظرات التي توشك أن تخترق الجسد النحيل.. تداخلت الأصوات بالزغاريد.. سماعات الساند ترسل.. أنغام الموسيقى الصاخبة لتملأ الأذان..
" أول عهدي بها.. كان منذ سنوات في عيد الربيع.. لم أستطع أن أقاوم عينيها البدويتين.. هيء لي أنها درة جاءت من قاع المحيط.. دنوت منها في حركه بهلوانية أنطاق لساني تعبيرا عن فرط إعجابي بها.. كانت لطيفه للغاية.. جاملتني بابتسامه ساحرة.. وبضع كلمات.. وانصرفت.. ذات يوم تجاذبنا اطراف الحديث وهي عائده من المدرسة..روت لي الكثيرعن حياتها وعن المدرسة و" الأستاذة أيفون " التي تغار منها.. وتشتط غضبا عندما تراها تتحدث مع "أمال".. .. وكانت النبرات دافئة ترسل النشوة في عروقي وجوانحي.. وانتهى اللقاء بيننا..عند مفترق الطرق.. في أخر خطاب لمحت لي أنها لن تراسلني أبدا.. فقد صارت زوجه لرجل.. ثري جداً ووسيم.. يستطيع أن يشتري لها كل ما تريد.. وقالت : ـ "هو يحبني كثيرا جدا.. ويغار

علي من النسيم وأخاف ان يعرف أي شيء عن الماضي.. قرأت الخطاب وأنا مندهش.. وسألت نفسي.. هل هذه "مرفت".. ......؟ "
طويت الخطاب.. واكتفيت أن أعيش علي ذكراها.. وعلي أن أراها في الأحلام.. وفقط.. لكنها اليوم ليست حلما.. ليست خيالا.. هممت أن ألمس هدب ثوبها.. لأتأكد أني مستيقظ.. الفرح يعج بالمدعوين.. كاميرات التصوير تطوف هنا وهناك.. لتلتقط الزغاريد.. والضحكات.. والهمسات.. اصطنعت ابتسامه باهته.. وزعته علي المدعوين.. ووقفت اصفق في هستريه الأصدقاء يطلبون مني أن أرقص.. رفضت.. فحزموني.. فرقصت.. تسلل طفل من بين يديها.. اقترب مني.. أمسك العصا وأخذ يرقص معي..
انخرط رجل من بين المدعوين :
ــ الفرح، المعا زيم، العروسين، الراقصين.. وأنا وأنت.. . و.. ..
نظرت إليها.. فابتسمت في وجل.. لحظتها علمت أنه زوجها.. فضربت بالعصا علي الأرض.. ورقصت.. ورقص الطفل.. والمعجبون.. .....

****

الجحيم

قصة قصيرة

نظرت في الساعة.. كانت الحادي عشر والنصف.. وما زالت اصواتهن.. ترج المكان.. وتملآ البيت.. وتقتلع البيت اقتلاعاً.. وتهدم الغرفة علي ام رأسي ألمتعبة وأنا مريض.. وهن يزغردن ، ويطبلن ، ويرقصن ، ويغنين كل ذلك في نفس واحد " ألا سحقا لكن جميعا "... أجريت تحاليل في الصباح.. وهنّ كل مساء يجلسن كالعادة علي احدي العتبات.. يصخبن قال لي الطبيب.. " لا تخف سليمة.. ان شاء الله " وهنّ يقلن لي.. في الرائحة والجاية " عبالك " ثم ينفلتن بالضحك ويغنين "عيونها تجرح ما لهاش دوى ولا طب ." لم كل هذا لا أدري،ربما لأن الطبيب قد وهمني وقال :" دم جديد " لكني قطعت الظن.. باليقين عندما ذهبت الى طبيب متخصص أمام.. الشارع الذي أسكنه.. عرضت عليه نتيجة التحاليل.. فقال لي بعدما اخذ.. كل ما تبقي في جيبي، من نقود" أنت محتاج عمليه فورا " تتوسطهن شابةً في العشرين من عمرها.. ترقص على إيقاع طبله هتماء.. مشروخة الصوت.. ظل صوت الطبيب يتردد في أذني " أنت عايز مستشفى كاملة.. تعالجك ".. ضحكت بمراره لأجاملة وقلت" أنا عارف إني محتاج كنصلتو.. في جميع التخصصات

".. تقع الراقصة من طولها من التعب.. فيشدون غيرها لتأخذ مكانها.. وقفت أنظر حولي بتدقيق.. كانت على جدار العيادة صورة..

"للراعي الصالح ".. يحمل على إحدى يديه.. حملاً صغيرا بني اللون.. وبيده الأخرى عصا للأغنام.. التي ترعى حوله.. لكن ثم ذئب رابض هناك.. ينظر ولسانه يكاد يصل الى الارض من اللهث.. كانت غاده حسناء تشبه غزالا شاردا تتمايل في دلال.. فتلتهمها كل العيون الجاحظة.. ثائرة وغير أبهة.. تاهتز.. تضرب رجلها الأرض.. فتهتز قلوب الذئاب الناظرة.. وهي تلوح.. بزراعيها البضّ في الهواء.. بحركات ساحرة . فاتنة لها جاذبيه خاصة كصياد ماهر.. أتقن صيد الأسود الجائعة.. وعندما فرغ الطبيب من "الروشة" قال ليّ وهو يترع نظراته السوداء.. " تجيء يوم الثلاثاء" وأعطاني علبة دواء برتقالية.. مجانا معللا بأن أبي رجل طيب وفقير.. أديت إليه كلمات الشكر.. التي لا أملك سواها.. وانصرفت إلى المنزل الذي ما زالت أكوام النسوة امامه.. .المهم... أخبرت أبي الذى لم يبد أي اهتمام غير أنه ضرب فخذه بيده قائلاً بنبرات معبأً أساً وحزناً وألماً.. "من أين يا ولدي " وعندما جاءت أمي أعطتني ما تبقي معها من نقود لأشتري به الدقيق الذي لم أجده واشتد الألم فدخلت "صيدلية" ثم خرجت وأنا أتسند حواط الشارع الطويل، ولما اقتربت من النسوة اللائي يثرثرن.. توقفت ضربات الطبلة وتجمدت الأيدي.. وصمتت الزغاريد، والضحكات فوق الشفاه نظرت فإذا العيون محشوة علامات استفهام وتعجب، أسرعت إحداهن مني في

صمت.. هو أقرب إلى الموت منة إلى الحياة.. انغرست احدهن تحت جناحي لتحملني ابتسمت محاولا أن أخفف عنهن.. أو أكسر هذا الصمت المخيف، وتحدثت لتخرج كلماتي باردة جافه، تكتمت أنفاسي وتعثرت الكلمات ليتوه.. معناها.. ولأتوه في سرداب أسود من الفكر القاسي.. أخذ ينظر الجميع إليّ في رثاء وحيره.. وكأنهن يدركن ما أنا فيه من خوف ورعب..خرجت أمي على الصمت..وحين رأتني صرخت في وجههن لينصرفن.. والدموع توشك أن تتساقط على الأرض.. فرحن يحطنني ما بين مسندة.. وممسحة.. وداعيه.. وقائله : "سلامتك يا عريس "... وعندما وضعتني على فراشي.. خرجن ليكملن العرس.. وراحت أصواتهن ترج المكان رجا.. .... لتقتلع أم رأسي اقتلاعاً.. لتلقي بها في الجحيم.... رأسي اقتلاعاً لتلقي بها في الجحيم.... لتلقي بها.. في الجحيم.... الجحيم.... الجحيم.... ييييييييييم.

****

الصخرة

قصة قصيرة

وقف الشيخ العائد من.. أرض الغربة.. يتوكأ على عصاه النحاسية.. يرتدي ثيابا فارهه.. داكنة اللون.. جاحظ العينين.. مقروض.. وقد عجل الشيب إليه.. قال الشيخ العائد.. يحدث نفسه.. ذات لقاء قالت: ـــ " الطريق محفوف بالمخاطر.. وان تلك الصخرة.. سوف تجلس ـ يتيمة ـ كل مساء ".. يدنوا الشيخ العائد يتلمس ذكريات المكان.. يقلب كفيه السمراوين، الناتئتين.. غلبته زفرة.. ثم أجهش بالبكاء يجلس الشيخ.. ليكمل حديث النفس.. عن سنين الغربة وكيف مضت.. وهولا يدري.. كم من السنين.. لبث في جمع المال.. من أجلها بل من أجل أبيها.. ذلك الرجل الجشع.. لن ينسى أبداً ذلك اليوم.. حين تقدم ليخطبها منة.. فرفضه لفقره.. ولن ينسى أيضا.. حين كسر أباها اللفظ، غليظ القلب ذراعها العاجي، وأسكنه الجبس.. حين احتجت.. ورفضت ابن العم ذلك" المعتوه " حينها طار في الهواء.. ليحط في بلد بعيدة.. لا تعرف غير لغة الارقام الجامدة.. والمتجرد من كل عاطفة.. ليجمع كل المال.. ثم ليرجع ليسد فم أبيها.. ويشتري منه حلمه الوحيد.. كان يراسلها.. يصبرها.. ويذكرها بحبهما التليد.. لكن أباها " لا سامحه الله " أجبرها على ذلك" المعتوه " هكذا قالت له في آخر خطاب.. فجأة.. وقف الشيخ العائد من الغربة.. مشدوهاً وهو لا يكاد

يصدق عينيه.. كبث يديه في جفنيه.. نبتت بسمة عريضة.. من بين شفتيه.. أخذ يردد في دهشة

- هــ ي... نعم.. أ...أ...أنتِ.. . ؟ ! .
- " حنان "
- غير معقول.. ؟
- أنا كل يوم هنا .!
- أنتِ كيف حالكِ .. ؟
- مات أبي وزوجي.. !
- ما هذا عنيت.. بل أنتِ..؟
- وحيدة كما ترى.. . انتظرك.. . وأنت.. ؟
- شيخ عائد من أرض الغربة.. . !

تمد يدها لتمسك بيديه.. فيقبلها بحنو.. تنحدر الدموع ساخنة.. من عينيها النجلاءين.. يمد يده ليمسح.. حزن الأيام، والليالي.. من فوق جبينها الأشقر.. فتقبل يده في صمت.. شعر بشفتيها المحددة.. المقددة ترتجف ينظر في عينيها.. برهة من الزمن.. فيصمت كل شيء حولهما.. وتهب نسمة هواء شتوية.. يلتطم موج البحر بالصخرة.. يقفز الشيخ ثيابه.. يسعل وقتاً.. يتهاوى.. وبينما طيور النورس تقبل وجه البحر.. يعود الشيخ يتوكأ على عصاه.. يطوح بيده الأخرى.. في الهواء.. وهو يممتم

- " شيخ عائد .. . من أرض الغر..." .. ..

امرأة سريالية

قصة قصيرة

قطفت حفنة من الأيام التي فوق الحائط.. تساندت كطفل صغير في خطواته الأولي ألمرآه تحمل وجهاً قبيحاً.. جن جنونها.. بسطت يدّها إليها.. ولكن مرضها المُزمن يتدخل في اللحظة الأخيرة.. فراحت تسعُل ، وتسعل .. حتى تهاوت قواها.. أمسكت قلبها الواقع علي الأرض.. ووضعته في صدرها

" 2 "

جلست أمام العجوز ذات غروب.. تلملم سني العمر.. وتفرشها.. مدّت يدها من لا وعي.. وهمست..

ـ إلفي بياضك يا شابه.. .. ؟

لم تجد سوي الدموع.. ثم مدت يدها.. لتقص خصلة من شعرها.. المبلل بسني العمر.. وأخبرتها عن السر.. وطلبت منها عدم الخوف.. ولانزعاج فالأمر هين وبسيط.. وستُبطل هذا السحر.. ثم اقتربت منها.. لتضمها في حنان.. فسمعت خلجات القلب المطربة.. وتعاهدا بكتمان السر.....

" 3 "

وقفت يوم كان الفيضان.. يجرف كل شيء أمامه.. الأطفال.. النساء.. الشيوخ حتى المباني لم تسلم.. والكل يصرخ .. ويهرول.. حينها طلبت منهم ان يختبئوا داخل كوخها الصغير.. وأعلنت لهم أن الفيضان يحبها.. ولن يجرؤ علي الاقتراب من كوخها الصغير..

" 4 "

وظلت تحتطب ثلاثة أيام.. تجمع الكلأ .. والعشب الكثير.. من فوق التلال.. ومن تحت الجليد.. والشمس المحرقة.. لا تبالي بحر الشمس.. ولا برد الجليد.. ثم جلست أمام التّنّور.. تصنع خبزاً.. وطعاماً للأطفال وأخذت تذبح كل ما في بيتها.. من فئران.. وعناكب.. ونمل.. وضفادع حتى أعدت لهم.. مائدة عظيمة ثم خرجت في طلب القوم.. ....

****

" البالطو الابيض "

قصة قصيرة

"القراءة وحدها هي التي تستطيع ان تخرجني من تلك الحالة.. ولكن كيف وأنا اليوم مريض.. ولا اقوي علي القراءة.. ولا الحركة.. اكتفيت بالنظر إلى مكتبتي.. الغير منظمة كتبها كصاحبهاـ أمسكت بعشوائية كتاباً.. مسحت عنه التراب.. " ديوان لابن جرير".. الخط جميل.. والطبعة فاخرة.. تغري علي القراءة.. وتجبرك علي الاطلاع.. فتحت مقدمة المجلد.. قرأت.. ولد "جرير" سنة (**30**هـ= **651** م) في قرية من قري اليمامة.. في الجنوب الشرقي لنجد ، في أسرة فقيرة ، لم تكن علي شيء من الجاه والثروة ، وبرغم ذلك قد أخزي كل الذين تعرضوا له بالهجاء، ولم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل ، ومع ذلك تفوق عليهم أيضاً.. في الموضوعات التي تتطلب رقة في الشعور والإحساس"..

شعرت بالتعب.. وساعة الحائط تشير إلى العاشرة مساءً.. تذكرت أني لم أخذ الدواء.. الذي كتبه لي الطبيب.. .. ليلة أمس قال لي الطبيب..

ــ يلزمك الراحة..

ــ عندي ايه يا دكتور ؟ .

ــ لا تخف سليمة ان شاء الله

ــ عندي ايه يا دكتور ؟ .

ــ لا بسيطة إن شاء الله.. شوية اجهاد مع نزلة برد حادة.. ويلزمك راحة التامة وعدم الإجهاد

" تباً لهذا المرض اللعين.. لقد افقدني القدرة علي التركيز.. والاستمتاع بالقراءة أو الكتابة.. او حتى الخروج إلى أي مكان ".. جمعت قواي المتهالكة.. تسندت علي جدار الحائط.. بعدما استأذنت من أصدقائي الكتاب.. تركتهم كما هم في المكتبة.. بعدما كنت أنوي وضعهم علي رفوف المكتبة.. وأرتبهم علي حسب الحروف الهجائية.. لكني من شدة التعب والاجهاد عدلت عن هذا الأمر.. وخرجت اتسند.. وفي الصالة جلست علي الكنبة.. وكالعادة.. فتحت التلفاز.. وأخذت أقلب في الفضائيات.. واتقلب معها من شدة الالم والملل.. لعلي اخرج من تلك الحالة الكئيبة.. والضجر الذي هبطت علي فجأة من السماء.. والذي كثيراً ما تأتيني وتنتابني تلك الحالة.. ولا أدري لماذا.. ولا ما السر في تلك الحالة الغريبة.. التي تعتريني.. وتعاودني بين الحين والحين.. وأيضا لا أعرف لها علاج ناجح إلى الآن كانت نفس الوجوه التي أراها لا تتغير عبر التلفاز.. ولا أظن إن تتغير إلا بتغير هذا الواقع الأليم.. كل يوم الفضائيات تعرض برامج "التوك شو".. ساسة.. ومحللين استراتيجيين.. وإعلامين.. يتكلمون في كل شيء.. ويدعون انهم يعرفون كل شيء.. وكأنهم وحدهم الذين يمتلكون الحقيقة المطلقة.. ولا أحد غيرهم يمكن أن يصل إلى ما وصلوا اليه.. من فهم ومعرفة حقيقية

للأشياء.. وكلهم يعزفون علي وتر واحد.. او يرددون نفس الكلام.. وكأنه اردر اعطي لهم.. وقسمت عليهم الأدوار.. أزدت حنقا ، وغيظا .. وظلت اتقلب على أريكتي.. من شدة الألم.. "

" تباً لهذا المرض اللعين.. لقد افقدني القدرة علي التركيز.. والاستمتاع بالقراءة.. أو الكتابة.. أو حتى الخروج إلى أي مكان "

" ليلة امس.. اوشكت علي الموت.. فدور البرد كان شديد.. جاءني فجاءة ، ودون سابق انزار.. امسك بكل جسدي الهزيل.. فهو يعاودني كل شتاء.. ذهبت إلى المشفى الحكومي.. وأنا أرتدي كثير من الثياب الثقيلة .. وبرغم ذلك كنت.. بقف قفةٌ شديدةٌ .. وانتفض من شدة البرد.. في الاستقبال وجدت بعض الحسناوات الصغيرات يرتدينَّ الزي المميز " البالطو الابيض ".. وقد جلسنَّ خلف الدائرة الخراسانية.. وقد وضعنَّ ايديهنَّ في جيوبهنَّ.. فتوجهت إلى إحداهنَّ بالحديث.. وأنا لا أدري.. من منهنَّ الطبيبة ومن الممرضة.. فليس هناك ما يميز بينهنَّ بشارة أو علامة.. المهم.. شكوت لهن ما اجد من شدة الألم.. ومن النفضة التي أنا فيها.. وأنا أوزع نظراتي عليهنَّ بالتساوي.. أخرجت لهنَّ شريط مضاد حيوي.. وعلبة برشام " conbestal " كنت قد اخذتها قبل ذلك وشفيت.. وذهب عني بعض الذي أجد.. فنظرنَّ إلى علبة البرشام .. ثم قالت لي إحدهنَّ

ــ " زين استمر عليهما وأنت تروق "

ــ " طاب لو سمحتي اخذ كام مرة منهما ".. .

ــ " صباحا ومساء..

ــ " بعد الأكل ولا قبل الأكل

ــ الأفضل بعد الأكل عشان المضاد الحيوي تقيل علي المعدة .

ــ " شكرا.. طاب ما فيش أي حاجه اخدها هنا.. !!؟.

ــ اه ستأخذ حقنه وتروق تماما "

وانتظرت من يعطيني الحقنه " وعندما لم يجدنَّ القائم بهذا.. تطوعت إحدهنَّ ــ مطرة ــ ان تعطيني الحقنة.. ثم عودت إلى البيت بعدما سكن الألم.. وذهبت القفة قليلا.. "..

الاحداث التي يموج بها العالم.. والتي أراها عبر الفضائيات.. تبعث علي الغثيان "إلا تباً لهذا النظام العالمي الجديد.. لقد حول العالم إلى غابة.. والبشر فيها إلى وحوش ضارية، مفترسة.. لا رحمة، ولا عدل، ولا مساوة.. ولا حرية.. حروب طاحنة هنا وهناك.. مجاعات.. أزمات اقتصادية طاحنة.. مرض.. فقر.. جهل.. ثالوث مدمر.. مهجرين.. لاجئين.. أسرى.. مشردين.. مضربين علي الطعام.. في سجون الاحتلال اللعين.. هل العالم اصبح غابة..؟.. أين العدل.. ؟..هل غابة الرحمة.. ؟.. أين الضمير الإنساني..؟.. لماذا انتشر الظلم..؟ اين حقوق الأنسان الذين يتشدقون به.. واين المنظمات الدولية.. والهيئات العالمية التي تنادي وتتشدق بتلك الحقوق.. وتعلن انها راعية وحامية لها.. هل حلال لهم حرام علينا"

شعرت بغصةٍ في حلقي.. ورغبة شديدة في البكاء.. وبشيء يجسم علي صدري يكتم انفاسي.. يخنقني.. يجعلني كالعصفور الذي يتقلي.. بعدما قيدوه علي صفيح ساخن.. وحسست بشيء راح يقبض روحي.. بكيت بحرقة.. لما رأيت منظر الأطفال.. وهم تحت القصف.. والانقاض.. وتلك الأم التي تجري علي ولدها، في زعر لتحتضنه وتدسه في صدرها.. حتى تحميه من القصف.. وهذا الطفل الذي يحضن اخاه.. ليقيه من الموت.. فانهال عليهما البيت وماتا جميعاً.. وسألت نفسي لما كل هذا الخراب والدمار...؟... ولمصلحة من تدمر البلاد هكذا..؟.. وكيف....؟.. ولماذا.....؟... وهل.. ...؟.. وملايين من الأسئلة التي اطاحت برأسي.. وقلعتها لتلقي بها في الهاوية.. والتي لم أجد لها إجابة مقنعة حتى عند أولئك الساسة المحنكين.. والمحللين والخبراء والاستراتيجيين.. "

ألقيت الريمونت من يدي.. قفزت كالمجنون.. صوب الحاسوب.. فتحته.. لا جديد في المجلدات.. دخلت على "ألنت " فتحت موقع برنامج التواصل الاجتماعي "الفيس بك " برهة من الوقت.. علقت على بعض الأصدقاء.. وشاركت بعض الأشياء.. انتبهت لرسالة قادمة.. فتحت غرفة الدردشة.. صديقة قديمة أعرفها.. كانت تطلب الحديث معي.. تحدثنا معاً بعض الوقت.. شعرت بالتعب والأعياء.. اعتذرت لها بأدب.. وخرجت من غرفة الحوار.. علي موعد آخر للحديث .. شعرت بالبرد.. يتسلل إلى جسدي من جديد.. فالطقس سيء جداً الليلة.. والبرد شديد وقارس.. أغلقت

الحاسوب.. أطفأت المصابيح.. أسترخيت على فراشى.. فرد جسدي علي السرير.. في محاولة يائسة للنوم.. وما ان وضعت الغطاء علي جسدي.. حتي شعرت بأسناني تستك.. وأخذت أتكتك.. وأنا أرتعش.. ولم استطع ان اتملك اعصابي.. نظرت في ساعة يدي.. كانت تشير إلى الحادية عاشرة مساءً.. فالليلة شديدة البرد أولادي نائمون بالغرفة المجاورة.. لم ارد ان ايقظهم.. أو إصدر أي صوت حتي لا ينزعجوا.. فالوقت متأخر جداً.. لكنهم شعروا بي.. ولما رأوني علي تلك الحالة.. أصروا أن يذهبوا بي إلى طبيب آخر.. فالوقت كان متأخر.. وأنا لا أريد أن أزعج أحد معي.. ذهبت بعد الإلحاح الشديد.. بحثنا عن طبيب حازق ماهر.. حتي استقر بنا المطاف عنده.. وفي العيادة جلسنا ننتظر الدور الذي جاي متأخرا.. وبدأ يفحصني الطبيب جيدا.. حتي اكتشف المرض..

ـــ الدخان والبرد جعل الزور يلتهب ويكون صديدا "..

طلب مني الطبيب الراحة التامة والبعد عن التدخين.. بعدما كتب لي رشتة.. أخذت كل ما تبقي من راتبي الضعيف الهزيل.. خرجت اتسند علي زوجتي.. وأنا متبرم.. وساخط علي الوضع.. وزوجتي تواسيني.. وتهون علي.. وتنصحني بالصبر والاستحمال.. عدت إلى البيت.. وأنا أضرب كف

بكف.. ورحت أسأل روحي آلاف الأسئلة.. ولم أجد لها إجابة تشفى الغليل .. وظلت مستيقظاً حتى انشق الصبح.. وأمتلأ الكون بالنور.. وبأصوات الخلق.. وانا اتقلب علي سريري.. من شدة الألم.. والهم.. والغم.. والفكر كلاب سعرانة.. في رأسي تنهش.. وتجرى..

****

الجدار

قصة قصيرة

منذ ارتفع الجدار الذي بيننا.. وأنا لم اعد أراها.. وهى تنشر الغسيل .. وهى تمشط شعرها الأسود الطويل.. وهى تذاكر.. وهى تطعم الدجاج.. وهي تخبز الخبز.. .. وهى.... وهى..... وهى......

سمعتها ذات مره ، وهي في حالة غضب شديد ، وكأنها ترمى عليّ بالكلام

ـ "هي الناس جرى لها إيه.. في الوجه مرآيه.. وفي القفي هههههه..."!

حولت وجهي بعيدا.. وتظاهرت بأنني منهمك ومشغول في الكتاب الذي في يدي، ورحت اقلب صفحاته ببطء.. وعملت إني عبيط و" ودن من طين وودن من عجين " واعتبرت أن الكلام لا يخصني من قريب ولا من بعيد ولا يعنيني في شيء.. فافتعلت سعالاً.. أعقبته بكحة، ثم أتبعتها بضحكةٍ مائعة في محاولة منها للفت انتباهي.. نظرت إليها بابتسامة باردة لأجاملها ولأحد من غضبها المتطاير.. فبادرتني بتحية الصباح ، وزرعت علي الفور ـ بين طرقات وجهها الأبيض ـ كم وردة حمراء.. هززت رأسي بابتسامة صفراء ، إيماءً لها بالرد.. وقبل أن أعود إلى الكتاب الذي كان في يدي ـ الذي لا اذكر اسمه ألان ـ كانت أسرع منى بسؤالها.. " عن حالي.. ؟... وعن أخباري..؟... وأين كنت منذ زمنٍ طوال.. ؟... ولماذا لم اسأل عنها.. ؟..

. أو أتصل بها طول هذه المدة كل هذه المدة الطويلة.. ؟.. ."... وسيل من الأسئلة التي راحت تلقيها على مسامعي.. بالرغم من أنها كانت تعرف أني في الجيش.. إلا أنها سألتني، ومع ذلك أجبتها بنبرة في طيها ابتسامة فاترة..

ــ " معلهش غصب عني كنت مشغول سامحيني "

فتلقفتها لتبنى عليها حوارا طويلاً.. ادارته بصوت عالٍ.. وراحت تحكي لي عن أحوالها ، والشارع ، والمدرسة ، والأيام التي كانت تعدها بالساعات والثواني في انتظاري.. وأنا انظر إليها باندهاش ، متعجباً من جرأتها ، وقدرتها على التعبير، ونفسها الطويل في مواصلة الكلام..

"يا لها من فتاة جريئة زيادة عن اللزوم، متحررة.. بالرغم أنها تعيش فى مدينة تحتفظ بالتقاليد الموروثة ، ووضع فواصل وحدود بين الذكر والأنثى، وضوابط، وقيود.. إلا أنها ألقت بكل هذا وراء ظهرها وتخلت عنها، بل تحررت تماماً من تلك التقاليد الموروثة.. فتجدها تلبس ما يحلو لها، على أحدث موديل.. وتخرج كما تشاء.. وتعود متى شاءت.. وتتحدث مع من تحب.. وتضحك بلا تحفظ.. فهي منطلقة، مرحة.. جذابة.. سعيدة بحياتها هكذا.. شعرها قطعة من الليل البهيم.. عيناها فنجانا قهوة ، فمها حبة فراولة.. جبينها أبيض كالنهار.. عودها عصى خيزران.. تسّلب اللب، وتأخذ القلب.. بجمالها الأخاذ الذي لا يقاوم .. "

مازالت أذكر جيداً.. يوم طلبت يدها ــ ذات مساء ــ من أمها.. التي ففرحت ورحبت، بل وزغردة حينها.. وصرت أراها شبه يومي.. ونشأت

بيننا علاقة حب قوية.. نتواعد ونلتقي بشكل دوري.. نخرج علي مرأى ومسمع من الناس.. تتشابك الأيدي علي الطريق.. ويبوح كل منا للآخر بما يجول في خاطره.. وما يكنه في نفسه.. من مشاعر جميلة جياشة تجاه الآخر..

" أنا كنت صادقاً في مشاعري وعواطفي لأبعد حد.. فقد كنت سعيدا بحبها.. فرحاً بلقائها.. متيماً بجمالها .. مأخوذا.. ومسحورا بكلامها البراق.. حتى أني كلما نظرت في عينيها كنت انسي الدنيا ، والعالم ، وكل الناس.. ".. .. أذكر وقتئذ كان عمري لا يتجاوز العشرين ربيعاً.. أما هي فكانت تصغرني بثلاث أعوام فقط.. لكنّ جسدها كان ينم عن أنوثة طاغية ، وفتنة تجعل الحليم حيرانا لا، ولم ،ولن أرى مثلها.. ربما لأني أحبها أقول عنها ذلك.. أو ربما هي الحقيقة.. أو ربما لشيء أخر لا ادري ما هو.. إلا إني كنت أغار عليها من النسيم لما يمر.. والهواء الطائر لما يعبث ويداعب خصلات شعرها الحريري.. أو يلهو بهدب ثوبها.. ومن أية عيون تراها ، حتى من نفسي كنت أغار عليها.. وكان يغضبها ذلك مني.. وتصيح في وجهي، وهي تلوح بيدها وتقول :

ـــ " أنا حرة.. !.. أفعل ما اريد.. !.. والبس كما اشاء.. !.. وأتكلم مع من أريد.. !.. وأنت ليس لك حكم علي..! ".. ؟!!..

فأتركها ، وأنصرف غاضباً.. وعازماً على هجرها.. وعدم ملاقاتها مرة أخرى.. محاولاً نسيانها.. ولكنى لا استطيع.. فأعود إليها مسرعاً.. لأعتذر عمّا بدر

مني.. وإن كنت لا اذكر شيئا يعتذر عنه، ولا منه، إلا حبي الشديد لها، وغيرتي عليها.. وأقسم لها لترضي، باني لن أعود لمثلها أبداً.. ولن أغضبها ثانية مهما حدث.. وأؤكد لها أنى أحبها، ولا ولا أستطيع البعاد عنها، وألعن أي شي ممكن أن يبعدنا، أو يفرقنا عن بعضنا.. وأعدها بعدم الشك والظن فيها ثانية.. فتبتسم ، وترضى عني ونتصافح.. ونتصالح ، ونعود من جديد كما كنا.. وقد جرت المياه في مجاريها.. وهكذا دارت الأيام، ومرت السنيين بيننا.. وتخرجت أنا من الجامعة.. وهى أخذت الدبلوم.. وأردت أن أكلل مشوار حبنا بالزواج.. وأرادت هي بأن تكمل تعليمها في المدينة البعيدة.. لتحصل على شهادة أعلي.. وذهبت إلى هناك.. وانقطعت أخبارها عنى.. حتى رايتها ذات يوم.. طلبت منها أن نتقابل.. فرفضت.. فبحثت عن السبب.. فلم أعرفه إلا من أحد الأصدقاء.. أخته كانت تدرس معها ، في نفس المعهد الذي كانت تدرس فيه.. قال : بأن أخته أخبرته :

" بأنها ضبطت في إحدى الشقق المفروشة مع بعض الشباب.. فطلبوا أبوها ليمضى على استلامها.. ثم زوجوها لأحد ألأشخاص الذي ظهر فجأة وبدون سابق إنذار في شارعنا ، والذي لا أعرفه "...

ومن حينها.. وأنا لا اقترب منها.. ولا أكلمها.. فقد كشفت الأيام عن حقيقة مشاعرها نحوى ــ إنها كانت مشاعر زائفة ــ فأصبحت بالنسبة لي ماضيا، وذكرى مؤلمة، وموجعة.. وبعد أن كانت أحب شيء إلى نفسي أصبحت شيئاً بغيضاُ إلى نفسي.. وغير مرغوب فيه البتة.. وغير محبب إليّ

بالمرة.. لذلك قررت أن أرفع هذا الجدار بيننا.. فلم أعد أراها، وهي تنشر الغسيل.. وهي تمشط شعرها الأسود الطويل.. وهي تذاكر.. وهي تطعم الدجاج.. . وهي تخبز الخبز... وهي.. وهي.. وهي.

****

أنا وهي .. ...

قصة قصيرة

طرقت على الباب.. وانتظرت.. ريثما تفتح ليّ الباب..
نظرت إليها مندهشاً.. وسرحت بعقلي بعيداً.. ابتسمت لها.. وهي تدعوني للدخول، بسرعة ، دخلت.. حتى لا يراني أحد.. أعطيتها كل ما كانت يديّ تحمله وجلست في أقرب مكان.. بجوار الباب منهكاً ، وقد تهلل وجهها فرحاً لرايتي.. واتسعت عيناها دهشة، وسعدت أيما سعادة، لمقدمي.. طلبت كوباً من الشاي.. فأومأت برأسها، والابتسامة لم تزل على وجهها، وانصرفت مسرعة نحو المطبخ ... أخذت أفكر، وأمهد الطريق في عقلي.. ريثما تعد لي الشاي.. تخيلت منظرها حين تستقبل الخبر.. فكرت مع نفسي كثيراً.. وراحت أسأل نفسي ، بصوت خافت ..
" لا يمكن أن تعرف من غيري..؟.. ولكن كيف ابدأ معها.. ؟!.. كيف أفاتحها في الأمر، الموضوع خطير جداً.. ؟.. كيف أخبرها بما أريد.. "..؟.. ..
نظرت إليها من طرفٍ خفي.. وهي منشغلة عني ، ومنهكة بإعداد الشاي.. وهي ترتب أدوات المطبخ.. بثياب البيت المتواضعة ، والتي تبدو فيها مختلفة تماماًعن ذي قبل، و مختلفة عن أي يوم مضي.. وقد صنعت تسريحة جميلة زدتها حسناً وجمالا علي جمالها.. كانت تبدو وكأنها ملكة إغريقية جميلة

رائعة.. هكذا رأتها عينيَّ في هذه المرة.. سرحت بعقلي لأبعد من ذلك.. وتخيلت منظرها حينما تستقبل الخبر.. ونشب صراع مرير بداخلي.. فأنا أريد أن أتكلم معها.. اخبرها بما في رأسي.. وعما خبأته عنها منذ فترة.. ولكني أخشي عليها من وقع الصدمة.. همّمت بالقيام من مقامي.. لأجذبها إليّ بكل قوة.. لأحتويها بين زراعيا.. أهزها من بين كتفيها.. وأصرخ فيها.. وأصب جام ثورة غضبي.. وألقي كل ما بداخلي في آذنيها ،.. وأصارحها بما في نفسي ، وأرتاح.. لكن توقعي للصدمة جعلتني.. أتراجع في اللحظة الأخيرة.. وأتريث قليلاً .. وأحجم عن كل هذا.. وعن كل ما أنوي القيام به.. فربما تسقط في يدي عندما أفاجئها.. وربما تنهار وتجهش بالبكاء.. وربما.. .!.. . وربما.. ..!.. . ".. .

أعدت الأمر في رأسي من جديد.. وأدرته من كل وجه.. وأنا أراقب ماذا تصنع.. وهي تصب لي الشاي ، تدندن بأغنيتها المفضلة.. للرائعة ، الجميلة " وردة الجزائرية "

ــ أنا بتونس بيك وانت معيا ، بتونس بيك ، وبلاقي روحك جويا ، جويا

كل ذلك ومازال الحوار يدور في رأسي.. وحديث النفس موصول..

".. لا، لا.. حتما ستصدم فيّ.. فهي إنسانه رقيقة جداً.. وحساسة لدرجة تفوق الخيال.. كما أنها لم تعهد مني ذلك من قبل.. فأنا عندها أختلف تماماً عن باقي الرجال الذين مروا بحياتها.. تعتمد عليّ اعتماد كلياً ، في كل

كبيرة وصغيرة، وفي كل شأنٍ من شؤون حياتها.. وكل أمر تحكيها لي.. ولا تخبأ عني شيء.. خبرتها في الحياة تكاد تكون معدومة، ومنعدمة"....

قبل أن تتزوج ، كانت كل حياتها تدور في دائرة ، ومثلث واحد.. المدرسة ، المذاكرة ، وشغل البيت.. رائيتها ذات مرة ، مرة واحدة فقط يتيمة.. فتعلق بقلي بها.. ولا أدري بعدها ما الذي حدث لي.. ولا ما الذي صار بعد ذلك.. وما الشيء الذي جعلني متيم بها ، ولا ما الشيء الذي أعجبني فيها.. ربما لاحظت أدبها الجم وحياءها ، وكرمها ، وجميل خصالها ، متواضعة جدا، وبسيطة جداً لدرجة السجاجة ، وتحب البساطة في كل شيء.. لكنها كريمة للغاية.. وربما كانت تشبهني إلى حد كبير.. .

وكنت أشعر أني تحت تأثير من نوع ما أشبه بالسحر، أو تأثير تنويم المغناطيسي. أو التخدير العقلي، لا أدري، أو ربما كان هو القدر، والقسمة والنصيب، هي ليست جميلة الجمال الذي يبهر، لكن أيضاً ليست كباقي النساء الاتي عرفتهن ومررن في حياتي.. تعرفت عليها ، وكنا نادراً ما نلتقي.. فتصر علي الصمت.. وعلي الاكتفاء بالإصغاء إليّ وفقط.. وكنت أنا الذي أتكلم معها، حتى أمل الحديث والصمت أيضاً.. وفي أحايين كثيرة كنت أتركها وانصرف.. برغم أنها فتاة جامعية درست في أعرق الجامعات.. وربما تعلوني في الشهادات العلمية إلا أني كنت انتزع منها الكلام انتزاعا.. وحين كنت أطلب منها أن تحكي لي عن نفسها.. أو تقول لي أي شيء، كانت ترفض بلطف.. وتقول.. والابتسامة الخجلة الجميلة تملأ وجهها العربي

الأصيل وعينيها السوداء الواسعة الكحيلة، هربت من عيني، ووقعت علي الأرض ، من شدة الخجل .. ..

ــ " أنت راجل أديب وشاعر بتعرف تتكلم وتعبر عن نفسك ، أما أنا فلا أستطيع..؟!

مازال صوتها ينبعث بالغناء من داخل المطبخ.. وأنا أرتب الأمر في رأسي من جديد.. فانا لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا ، ولا أطيق كل هذا العذاب .. .

ها هي الأن قادمة إليّ ، تحمل عبق التاريخ ، وكوب الشاي الساخن..

نظرت إليها ، وهي تقدم لي الشاي.. فابتسمت.. عدلت جلستي.. وهيئت من نفسي وتهيأت للكلام ، وأعددت لكل شيء عدته.. وافترضت كل الافتراضات الممكنة ، والغير ممكنه.. فقد زورت كلاماً في جناني جيداً.. ونظرت إليها بجد.. بحثت عن لساني.. شحذت همتي.. وأطلت النظر إلها.. ثم ابتسمتُ ابتسامة بلهاء.. وأحجمت عن الكلام.. فأخذت هي بزمام المبادرة، وراحت تحادثني عن اشياء حدثت معها في غيابي ، وكيف وقفت عاجة أمامها ، ولم تعرف التصرف أو التعامل معها ، وكيف كانت مفتقدِني ، وكيف كانت مشتاقة إليّ ، وكيف.. وكيف.. ...

وأخذت تنظر إليّ.. و أنا انظر إليها في صمت مطبق علي غير عادتي ، وقد تسمرت عيناي في عينيها ، ونّعقد لساني عن الكلام.. إلا أنها لاحظت ارتباكي ، وتوتري الغير عادي.. فعدلت من جلستها ، ولمت ثيابها الشفاف

المطرز بالورد ، الذي يبرز بعضا من تفصيل جسدها الأبيض كالشمع.. وأنا أشعر بقلبي يعلو ويهبط في صدري ويدق كساعة الحائط التي أصابها العطب فجأة.. وأنفاسي المتلاحقة تكاد تفضحني وحديث النفس لم يزل موصولاً بداخلي.. وكمية من الأسئلة الحائرة تملأ رأسي.. .

" كيف أبدأ معها.. .؟... وكيف أفاتحها في الموضوع.. . وكيف أقنعها..؟... وكيف.. .؟... وكيف.. . ؟... "

بحثت عن مقدمات وعن لساني من جديد ، في تلك المرة ،. أردت أن أمهد لها الموضوع.. عدلت من وضعي ، هيأت نفسي.. حتى لا تُصدم بما أقوله لها، وما اطلبه منها ، وأنا انظر إليها في تلك المرة نظرة جادة، وحادة بعض الشيء.. فتبتسمت في وجهي ابتسامة بلهاء.. وطلبت مني بأن اشرب الشاي، قبل أن يبرد.. وصمتت.. برهة قصيرة.. وأنا في السكون الذي يسبق العاصفة .. ..

تقوم من مقامها.. تتكسر في مشيتها.. تمسك كوب الشاي.. الذي لم يزل يتصاعد منه الأبخرة.. تتقدم نحوي بخطوة واثقة للإمام.. وقد انحنت قليلا، واقتربت الأنفاس ، وتلاحقت.. نظرت إليها وكأني أراها لأول مرة.. تفرسها قليلاً، التهمت ملامحها البريئة.. كانت تبدو جميلة جداً، ورائعة.. أمسكت بيدها البض.. .. أجلستها لجواري.. ورحتُ أقرأ تفاصيل وجهها الجميل.. غازلتها، وانا أداعب شعرها الطويل.. فاندهشت لصنيعي هذا.. رنت ضحكة في محيط أذني.. سرعان ما أمسكتها بيدها حتى لا تعلو فيسمعها

المارة ، والجران.. اقتربت مني أكثر.. فانتشرت كرات الدم الحمراء في وجهي الأسمر.. وسرت بداخلي أحاسيس غريبة وشعور بالنشوة لم أعهده من قبل.. وقد تسمرت عيناي في عينيها.. وتسرب شعاع ضوء من شمس مارس على وجهها الأبيض، فبدت لي عينيها بلونٍ أخر مختلف.. لا يمكن وصفه من شدت جمالها، نظرت إليّ نظرة أعرف مغزاها.. دخلتْ لأبعد نقطة في سويداء القلب.. وداخلني شعور مختلط، مزيج بالغبطة مع الرغبة، والخوف من المجهول.. وانتشر إحساس بالنشوي في جسدي، فأنا احبها كثيراً جداً.. حب من نوع أخر، حب غير عادي.. حب غير لي حياتي.. حب له طعم ومذاق خاص، ومختلف ، لم اعرفه، ولم أجربه من قبل، حب غير تقليدي، وهي أيضا تبادلني نفس الشعور.. والإحساس أظن ذلك.. ..!!

خرجتُ من تداعياتي.. وشرودي الطويل.. نظرتُ إليها وهي لا تزال تبتسم ليَّ.. وأنا لم أزل أحدث نفسي..

" أنا الذي كانت أرفض الزواج التقليدي من حيث المبدأ، وزواج الصالونات أصلاً كيف صممت علي الزواج منها.. برغم إنني لم أرها إلا مرة واحدة فقط.. وربما كانت دعوة في ساعة استجابة لأمي.. فأعطانِها الله.. امرأة صالحة.. إنسانة تقية وعلي الفطرة.. أو بمعني أخر صفحة بيضاء لم تلوث بعد.. مادة خام من الطيبة.. ولوحة جميلة من الطبيعة البكر.. خبرتها في الحياة محدودة.. تشبه أمي ــ الله يرحمها ـ تماما بتمام.. وربما كان قدراً مقدوراً.. زواجنا كان تقليديً بكل المقاييس أو إن شئت قل قدر

ونصيب.. أو قل ما شئت من مسميات.. لكن تبقى الحقيقة التي لا يمكن إنكارها إلا وهي كانت مقسومة لِيّ.. كنت مسلوب الإرادة أمامها، وكنت منساقاً إلى القدر المحكم.. لينفذ الله أمرا كان مفعولا.. فهي أم أولادي.. رزقني الله منها الولد، وهبت لي كل حياتها، وأعطتني كل ما تملك.. قلبها ، وروحها الجميلة واختارتني، وأنا اخترتها من دون النساء.. لنعيش معا تحت سقف واحد.. وتشاركني الحياة بحلوها، ومرها.. وفرحها، وترحها.. . هي لا تستطيع العيش بدونيّ.. أو الاستغناء عنيّ لحظة واحدة، أو طرفة عيين.. .

فكيف أفاتحها في الموضوع.. وكيف بها لو عرفت.. وكيف سيكون ردت فعلها لو أخبرتها بأني سأتزوج عليها.. ترى ماذا سيحدث.. ..؟ !!!..

****

أنثى العنكبوت

قصة قصيرة

تنبيه هام جداً وعاجل..

{{ قبل الشروع في قراءة القصة ــ أحذر أنا كاتبها ــ قارئي العزيز.. .

الأشخاص والأحداث التي جاءت في هذه القصة ليست حقيقية بل هي محض خيال كاتب.. وإن صادف وجودها في الواقع فذلك بمحض الصدفة البحتة.. . !!..

كما أن القصة لا تعبر بالضرورة عن كاتبها.. فليس كل ما يكتبه الكاتب بالضرورة يعبر عنه.. لذا أحذر من إسقاطها، أو سحبها علي شخصي المتواضع.. لذا وجب التنويه.. والتنبيه.. وشكراً لتفهمكم... الراوي...}}..!!...

الزمان السابعة مساءً.. المكان في بهو البيت.. الخلفية حائط متواضع تتوسطها نافذة.. تطل علي الليل.. المدى مستباح.. ونجوم السماء ترتعش.. النافذة يدخلها ظلام دامس، مع نسمة هواء باردة.. بين الفينة والفينة تهب رياح أمشير.. فجأة تظهر الزوجة.. خارجة من المطبخ تواً.. ترتدي فستان فضفاض.. تحته " بلوفر" أزرق.. وبِنْطَال جينز.. وفوق رأسها عصابة.. ـ إشارب أحمرـ تقريباً ، أو طرحة، لا أذكر.. تمشي وكأنها.. تقفز، وكأن بها صرع من نوع ما.. أو تلبسها جنيّ.. تدور في البيت كأنثى

العنكبوت السوداء أو كالحرباء ، تبخ سمها في كل اتجاه.. بينما الزوج المسكين جالس علي أريكة متواضعة.. ممسكاً بصحيفته الورقية.. يقلب صفحاتها بشيء من الاهتمام.. تُقبل عليه باندفاع.. يدها في خصرها.. تقف تجاهه.. وهي تنفخ في الهواء، وبنبرة حادة لا تتغير وهي تدك، تصرخ: .
ــ إن كنت راجل طلقني.. ووديني بيت أهلي.. وأنا أربيك.. وأنا أوريك .. أنا مش عوزاك.. أنا مش رايداك.. . طلقني.. طلقني.. . ؟؟!!.
ــ .. .. ؟؟!!.

ينظر إليها الزوج.. في هدوء الذي يسبق العاصفة.. يعيد عينيه داخل الصحيفة.. ولا ينبت ببنت شفه.. فقط تململ في جلسته.. بينما هي راحت تجمع ثيابها في شنطة السفر الملقاة على الدولاب.. وهي مصرة وعازمة على ترك المنزل.. الذي تحول إلى جحيم لا يطاق.. وسجن لا يحتمل ـ علي حد قولها ـ الزوج يمتص غضبه.. يقف.. يتجه نحوها.. يهدأ من ثورتها..
ولما فشل في إقناعها.. توعدها.. لو خرجت من البيت ، فلن تعود إليه مرة أخرى.. وأخيراً يلتجأ إلى حيلة.. تصنع الإغماء.. فلم تفلح الحيلة.. فيتلطف لها ويتودد.. يترجاها، عسى أن تبقى.. ولا تترك البيت.. من أجل الله.. ثم من أجل العشرة، وشرح لها وبين خطورة ما تنوي القيام به.. وبأن.. ؟ وبأن.. . ؟!.. . وكيف.. ؟.. ولماذا.. ..؟.......
" ثم تدور بينهما مفاوضات ، ومناورات.. واتفاقات.. وتحفظات.. وشروط توضع.. بعضها مجحف ، والبعض الآخر عليه تحفظات.. وكل ذلك من أجل

أن تهدأ، وتركز، وتتنازل، وتبقى في البيت، ولا تترك البيت، وتسكت، وتصمت، وترضى بالمقسوم، وتعيش.. و.... و.... ولكن هيهات.. هيهات..؟!.
وأخيراً الزوج يترك لها المنزل.. بعد ما يكون قد ارتدي كسوته الشتوية.. لأن الجو في الخارج بارد.. ولسانها من خلفه كالمبرد، عامل كذنب العقرب، لا يسكت.. ولا يكف عن اللطش، وبخ السُّمْ. يخرج.. يمشى في الشوارع المزدحمة ، علي غير هدى.. هائم علي وجهه ، وكأنه لا يدري ، من أين ، أو إلى أين يمضي.. يكلم نفسه بصوت مسموع.. وهو يضرب كفاً بكف ، يُبْرّقْ في اللاشيء.. يخال من يراه لأول وهلة، أنه فاقد للذاكرة ، أو مجنون.. يأتيه صوت أمه العجوز من بعيد.. يرن في محيط أُذنه ، وصورة زوجته التي كرّهته في نفسه ، وفي الحياة..
ــ اكسر الشر يا ولدي.. وخلي عليك أنت الاستحمال شوية "
يجلس علي كرنيش النيل.. وأزيز العربات لا تنقطع من حوله.. والناس عائدة ، ورائحة.. ينظر غير بعيد.. ولد وبنت يتبادلان الهمس ، والآهات.. مع النظرات ، والابتسامات.. تستدعيه ذكرياته البعيدة..
"حينما كان يجلس معها.. في نفس المكان.. يوم كانا حبيبين يصوصوان كالعصافير.. والسماء فوقهما غائمة.. والشتاء يدق علي الأبواب ".. .
اقترب منه بائع الشاي.. وهو غارق في ركام من التداعيات.. والذكريات الجميلة.. يدنو منه.. يهمس..
ـــ " شاي يا باشا "..

تنبه له.. شكره.. بعدما أخذ منه واحدة.. وهو يبتسم في وجهه.. أمسك بكوب الشاي البلاستيكي.. أخرج علبة سجائره.. أشعل منها واحدة.. وهو يطيل النظر إلى الولد والبنت.. وهما في حالة هيام.. ووجدٍ ، وانسجام تام.. نسمة هواء طرية ، باردة، تهب من البحر.. يتحسس جاكته الجلد.. حتى يتأكد أنه محكم الغلق.. يسحب نفساً عميقاً من سيجارته، ويعود إلى ذكرياته الجميلة.. وبذاكرته التي ضربها الزهايمر إلى ذلك اليوم البعيد... تذكر ذلك اليوم.. .

" يوم أن ارتبط بها.. كان يوماً مشهوداً.. أخوه الأكبر كان مريضاً يومها.. وكانت السماء ممطرةٌ.. فخاف أن لا يذهب معه لشدة مرضه.. قال له :

ــ نتصل لك بهم ونعتذر لهم.. الجو صقيع، والمطر مغرق الدنيا.. وأنت مريض.. وأكيد سيتفهموا الوضع.. "

لكن أخوه رفض.. وتحامل علي نفسه.. فأحضر له العربة.. وذهبوا إلى هناك.. وأتموا كل شيء في هدوء ".. . يتمتم في نفسه..

ــ " كان يوم أغبر.. ما طلع له شمس ".. .

" ملحوظة "

" زوجتي لمحتني وأنا أكتب هذه القصة.. ولأنها تعاطفت مع البطلة.. تركت ليّ السرير خاوي ، بعدما نفخت في وجهي، وقامت من جنبي، وهى تقول لي في غضب،

ــ أكتب يا خويا أكتب.. يا ما يعملوها ويخيلوا.. ؟!. أدينِّى سايبها لك مخضرة.. وسأنام مع الأولاد..

فطلبت منها الصمت ، وعدم الانزعاج ، حتى لا تشتت ذهني ، وتقطع حبل أفكاري، وتهرب مني المعاني، والكلمات، والصور، وأخرج من الحالة النفسية التي تتلبسني أثناء الكتابة ، فتتلف مني القصة، وطلبت منها أن تغادر المكان في هدوء، وصمت.. وتتركني وحيداً مع بطل القصة، الذي مازال جالساً ، يجتر ذكرياته ، وأيامه الخوالي ، تخرج وهي تشيح بيدها :

ــ هه هه أديني تاركاها لك وسايباها لك مخضرة.. وابقى نام أنت في الأوضة لوحدك.. . وأنا هنام مع العيال في الأوضة الثانية.. ".. .

لحظات قليلة يعم فيها الصمت.. أخرج سيجارة ، أشعلها.. أفرد أوراقي أمامي ، من جديد.. أبحث عن بطل قصتي.. .."

البطل الآن يعود إلى البيت.. بعدما يكون قد رمى بكل أوجاعه ، همومه في الشارع.. نثرها تحت عجلات العربات.. التي تمخر الأذان بأزيز محركاتها المزعج الذي لا يتوقف.. وزراها فوق وجوه المارة.. نفض صدره كالعادة علي البحر ، فالبحر صديقه من زمان.. صديقة المخلص الذي يحبه كثيرا جداً ، ويحب الجلوس معه لساعات ، وساعات، يتكلم معه بحرية تامة.. يشكي له همومه ، وأوجاعه، وهو يسمعه دونما أن يقاطعه.. حتى إذا ما ارتاح.. وأفضى إليه بكل مكنونه.. وألقى إليه ما في جوفه.. قام ينفض عن نفسه.. يتركه ، وينصرف..

عاد بعدما هدأت ثورة الغضب بداخله.. بحث عنها فلم يجدها في الدار.. وكأنها فص ملح وذاب.. سئل أمه العجوز عنها.. فأخبرته :

ـــ ذهبت إلى بيت أبيها ، لتسلم علي أمها ، وستعود قبل أن يحل الظلام.. .

جلس ينتظر أن تعود.. فما عادت ، ولا حتى رفعت عليه سماعة تليفون ، فنام طاوياً من الجوع، لكنه في تلك الليلة، نام نوما عميقاً، نوماً هادئاً وكأنه لم ينمه من قبل.. ولم يحلم بأي شيء، حتى نجمات السينما ، لم تزره في المنام تلك الليلة.. وهو الذي تعود كل ليلة بأن يقضي معهنَّ أجمل الليالي الحمراء الرائعة في المنام..

استيقظ في الصباح متأخراً كعادته.. ذهب إلى الحمام.. ثم صنع كوباً من الشاي المغلي.. تشطف.. تحسس لحيته، وهو ينظر في المرآة التي أمامه.. شعر بالكسل، والفتور، فقرر أن يتركها كما هي.. فهي لا تستحق الحلق.. جمع أشيائه ، وأشتاته في جيبه، وانطلق في إثرها.. وهو يحاول أن يفهم.. ويقف على السبب.. بهدوء سألها..

ـ لماذا فعلت كل هذا ، وخرجت دون إذن مني.. .؟ "

لم تجبه إلا بسيل من الشتائم.. والاتهامات الباطلة.. وقامَوا بطرده شر طردة، كبح جماح غضبه، وانصرف في هدوء، وقفاه يقمر سلة عيش.. ودون أن ينبت ببنت شفه.. خرج مكسور النفس، فابتلعه الزحام.. ونهر الشارع الذي يدوي.. والسماء كانت ملبدة بالغيوم ، وأمواج من البشر التي لا تنتهي..

"والآن اسمحوا لي أن أقف قليلا لأستريح.. ريثما أقوم بإشعال سيجارتي.. وارتشف فنجان الشاي ، الذي أعدته لي زوجتي.. والذي نسيته حتى برد.. وأعطي لبطل القصة فرصة.. حتى يقدم لكم نفسه.. "

((أنا إنسان عادي.. بسيط.. مسالم.. وماشي تحت الحائط ، لذلك فكرت أن أكمل نصف ديني.. من أجل أن اتقي الله في النصف الآخر.. قررت وأخذت القرار.. فاجأت كل من حولي.. وبدون مقدمات تزوجت ــ عادي يعني ــ وهذا كثيراً يحدث في أحسن العائلات.. لكن كيف..؟!.. ولماذا..؟!.. ولما..؟!.. وبأي وسيلة..؟!.. أو بأي طريقة حدث هذا.. ؟!..لا تسألني.. ؟!. فعلمي علمك.. فأنا لا أدري عن ذلك شيء.. ؟.. قل سحروا لي، قل أعجبتني الفتاة ، قل قدر ومكتوب مبرم ، قل قسمة ، ونصيب ، أو قل غير ذلك.. قل ما شئت ، ولكن لا تقل ، كنت أعرفها ، أو كنت أُحبها من قبل هذا.. ؟!!.))

{ ومرت الأيام وراء أيام ، وأخيراً.. وبعد محاولات دئوبة من أهل الخير.. وتدخل الناس الطيبين ، استطاعوا أن يزيلوا الخصام ، ويصلحوا بينهما }.. وفي أحد ليالي الصيف ، رأيتهما في الطريق.. وكأن علي رأسهما الطير ، أو في موكب جنائزي مهيب ، يسير أمامهما ، وهما يتبعاه ، عائدان إلى البيت..

الزوج ممنيا نفسه ، بأن حرمه المصون ، الغالية ، ستغير من طباعها الجافة ، وتلين قليلاً، وتسمع، وتطيع ، ويرد لها عقلها، وتركز، وتقر في البيت ، ولا تفر بعد ذلك ، فكثيرا ما سمع هذا من أمها.. حين كان يشكى منها :

ـ دى لسه صغيرة يا ابني ، وطائشة ، ولما تخلف – أن شاء الله – ستركز وتعقل وتحط عقلها في رأسها "..

وكانت تسمع كلام أمها.. وهي سعيدة وكأنها انتصرت عليه.. وبأنها ستفعل كل ما تريد.. دون محاسبة أو رقيب.. تنام كما يحلو لها.. وتخرج كما تريد وتعود متى تحب.. وتقضي البيت متى أحبت.. . الخ.. . الخ.. . الخ.. .

قال لي ذات مرة.. ونحن في طريقنا إلى العمل :

ــ أنا لا أريد مشاكل، ولا أريد هدم البيت، الذي تعبت في بنائه، ثم إني مُكتف بقائمة منقولات ما أنزل الله بها من سلطان ، تقسم الظهر ، وتهد الحيل، ومؤخر صداق كبير، يحش الوسط، وُيدخل السجن، وأنا لا أملك من حطام الدنيا إلا الستر، وراتبي الشهري الضئيل..

وباختصار، كان عليه أن يتنازل عن الكثير من حقوقه في مقابل أن تعود إلى البيت وحتى لا تشمت الأعداء.. وتتناوله الألسن الحداد ، وتكثر الشائعات ، وتنتشر الأقاويل ، وتتطاير كما النار في الهشيم ، وأسئلة الطفيليين ، والشامتين.. " لماذا تركت له البيت.. .؟.. ولما هربت.. .؟!.. ولماذا طلقها.. .؟!.. ولماذا.. .؟!.. وكيف.. ؟... و.. . و.. ."

ومرت أيام ، وجاءت أيام.. وهى كما هي على نفس الحال ، والمنوال ، لا تبديل.. ولا تغيير.. ولا تعديل.. ولا حياد عما في رأسها..

[[وآه.. وألف آه يا جدع.. على الحلو لما يميل بخته.. كل ما يزرع ورد يطرح شوك من بخته.. حتى لو فصَّلوا الطويل.. قصر على بخته]]

((أظن من الأنصاف أن نستدعي الطرف الثاني.. ليكلمكم عن نفسه.. لذلك أرجئنا الحديث عنها.. وأرسلنا لها.. حتى تحضر بنفسها.. ها هي الآن قد حضرت.. تحمل كوباً من الشاي.. وإناءٍ به طعام.. لاوية فمها.. وقد ارتدت الوجه الخشب ، مصعرة الخد ، والأنف شبرين ، وتكشيرة عريضة قل مترين.. وضعتها فوق سحنتها الصفراء.. وكأنها قدت من الصخر.. ورقبة عوجاء ، كما النخلة العوجاء.. هكذا رأيتها وهي تدنو نحونا..))

ــ تفضلي قدمي نفسك للجمهور.. ! "..... .

ــ " أنا لا أحب أن أتحدث عن نفسي كثيراً.. وبالأحرى لا أجيد التعبير عما بداخلي مثلكم.. بيد أني كنت أتمنى.. وأحب أن يعاملني معاملة أفضل من ذلك ، ويتقي الله فيّ.. فأنا إنسانه قبل كل شيء.. وأغلب من الغلب.. طيبة ولا أحب الشر.. ولا المشاكل.. وراضية بالمقسوم ، وصابرة ، وعايشه.. ومستحمله الذي لا أحد يقدر على أستحمله.. ولا أريد أن أتكلم أكثر من ذلك.. وخلِ الكلام في البطن أحسن.. وخلِ الطابق مستور.. سلام ؟ ".. .

قابلتهما ذات يوم صدفة.. في احدى العيادات الخاصة.. لأستاذ دكتور ورئيس قسم.. سلمت.. جلست غير بعيد.. اقترب مني الزوج.. جلس بجواري.. وعلي وجهه سعادة غامرة ، وابتسامة عريضة ، جلس بجواري.. أخرجَ علبة السجائر، قدم لي واحدة ، ثم همس في أذني ، وقد بدأ عليه التوتر

ـ المدام حامل..

ـ ألف مبروك..

ـ تعبت من كثرة السؤال ، وسؤال الناس عن العوض ، واه ربنا عوض علينا خير

ابتسمت في وجهه.. أجامله ، ربت علي كتفه.. أُهنِئُه.. قلت له بصوت ضعيف

ــــ ربنا يعطيكم الذرية الصالحة..

وعادا ليلتها في قمة الفرح والسعادة..

" علمت منه فيما بعد.. أنهما واصلا مسلسل الذهاب إلى الأطباء.. وبدأت رحلة العلاج.. تحليل.. وأشعة.. ومتابعات.. وهكذا..

" هو طلع صاغ سليم.. ليس به عيب واحد.. أما هي طلع عندها مشاكل كثيرة.. حال دون الحمل.. قال لهما الطبيب :

ــ سنبدأ بالعلاج أولا.. وسنأخذ بالأسباب.. ثم العملية إذا تطلب الأمر..

ودعوا الله ربهما يرزقهما الولد.. كي يملأ عليهما البيت.. ويسعدا ، وينوّر أعينهما.. واستجاب الله للدعاء.. بعد يأس من العلاج.. حتى أن الطبيب ساعتها.. اتسعت حدقتاه اندهاشاُ.. غير مصدق ما يرى.. وهو يكشف بالسونار.. لما علم أنها حامل.. وقال للزوج وهو يبتسم :(ولسوف يعطيك ربك فترضى)

وأصرَّ على أن يأخذ ثمن كشف.. بدل الإعادة.. وعادا ليلتها في قمة الفرح ، والسعادة..

وبدأ الزوج يستعد ويتهيأ.. لمقدم فلذة الكبد.. وحبة الروح.. وراح يحلم به.. ويتخيل شكله ومشيته .. ويتصوره وهو يكبر أمامه حبة حبة.. وحلم به طبيباً.. دكتوراً جامعياً.. عالم فضاء كبير.. واشترى له الثياب.. والألعاب الجميلة.. وأعد له اسماً جميلاً..

أما هي لا تفكر إلا في نفسها ، وفقط.. وهويتها المفضلة.. " النكد الأزلي ".. وتوالت المتابعات عند الطبيب.. صاحب " الفيزيته " العالية.. تسعة أشهر.. متواليات.. تذهب في كل شهر مرتان أو ثلاث.. تسعة أشهر وهى مستمرة على العلاج.. إيش فيتيمينات.. وإيش كالسيوم.. وفوار.. وتثبيتات.. .. و.. .. و... و......

وجاء الشهر التاسع. وضربها وجع الولادة.. وقد نمى إلى سمعها أن صويحباتها ذهبن إلى طبيب.. صاحب روشتةٍ هينة، وعلاج بسيط.. وأخيراً.. وضعن حملهن في مستشفى حكومي.. برغم أن حالة أزواجهن ميسورة ومرتاحة عن حالة زوجها بكثير..

طلبت منه علي استحياء.. وكأنها تريد أن ترحمه من المصاريف.. أو ربما أشفقت عليه فأرادت أن تخفف عنه بان تفعل مثلهن.. لكن أمها كان لها رأياً آخر.. ...

ــ الطبيب الذي تابعت عنده الحمل من البداية.. يعمل لها العملية..

الطبيب أكد لهما بأنَّ ميعاد الولادة مضى عليها عشرة أيام.. ولا بد ، وحتماً من عملية قيصرية.. وطلب منهما مبلغ كبير.. حتى يجريها على الفور.. استلف الزوج المال.. وجاء الصغير إلى الدنيا.. بعد أن كاد يفطس في بطنها.. لولا ستر ربنا وعنايته..

فيا ترى وهل ترى هدَّت السر.. واهتدت.. ونهدت.. أم ماذا حدث.. .؟

يقول الراوي :.. ....

{{ لو تخلت الشمس عن دورانها.. أو غير البحر مجراه.. أو تبدل الليل بالنهار.. ولو انتهى الظلم من العالم.. أو تخلت الوحوش عن طباعها.. ما نسيت تلك المرأة.. أو تخلت يوماً ما عن طبعها النكد.. }}

****

عالم آخر

قصة قصيرة

منذ جاء إلى المدينة البعيدة.. ينشد العلم في الجامعة.. فتنسيقه لم يسمح له بغيرها.. بحث عن سكن.. سمسار المدينة جاء به إلى هنا.. حيث غرفة نومها.. تطل علي غرفة نومه ـ اكتشف ذلك بعد فترة من الزمن ـ فهو قروي المنشأ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه.. ولا يشغل نفسه إلا بما جاء من اجله.. العلم ثم الشهادة وفقط انهمك في دروسه.. وذهابه وايابه من وإلى الجامعة.. حتي اصدقائه الذين كانوا معه.. كان يتهرب منهم كلما أرادوا أن يصطحبوه في نزهة.. انقطع عنهم إلا القليل منهم.. فطموحاته جُلَ طموحاته.. أن يكون معيدا، ثم دكتور في الجامعة.. بعض أصدقائه حذروه من السكن الذي يسكن فيه.. ولما استوضح منهم الأمر.. قالوا له وهم يتضاحكون.. ويتغامزون فيما بينهم..

ــ بكرة تعرف يا حلو

ــ.. ....؟؟!!!!.

في البيت المقابل تسكن " شيطانه " لكنها جميلة ، وعفية.. ثم تركوه وانصرفوا لم يهتم بالأمر كثيرا.. ظن انهم يهزرون ، ويهزئون ، ويضحكون معه.. وربما يريدون منه ترك السكن ، والامتحانات علي الأبواب ، حقداً

منهم وحسداً، لتفوقه في الدراسة عليهم.. هو حسبها هكذا في نفسه.. ثم استدرك الأمر سريعاً.. وأحس بأن في الأمر شيء ما.. ربما يريدون إن ينبهوه إليه.. ولما لا.. ؟!.. وهم أصدقائه المخلصين.. لكن لم يدري ما هو هذا الشيء..!. ولما تعب من تحليل كلامهم وضحكاتهم ، ووضع الافتراضات ، والنتائج لذلك.. وتعب من قطع الغرفة ذهاباً وإيابا.. جلس علي اقرب كرسي.. والكتاب الذي يقرأ منه راقد في يده.. فجأة تسلل صوت نسائي إلى أذنه.. يأتيه من الخارج.. صنت ليتسمع الصوت..

ــ " إنه صوت أنثي.. !.. أيكون ما قالوه لي الأصدقاء صحيح.. .؟!!.

هكذا كان يحدث نفسه بصوت منخفض.. حب الفضول دفعه لأن يستكشف الأمر بنفسه.. فهو لا يخاف من العفاريت ، ولا من أي شيء..

" تذكر يوم كان صغيرا.. كان يذهب بمفرده.. إلى المشرحة خلف المشفى الحكومي.. في لهيب عز الظهر.. وفي الليل ايضا.. هو ورفاقه يجمع زجاجات الحقن الفارغة.. وبعض اربطة الشاش.. وعلب السجائر الفارغة.. وغيطان الكوكاكولا.. من اجل ان يلعب بها مع اصدقائه.. وكان يغافلهم ويبحث عن العفاريت.. فلم يري شيءً .. ..

" أتاه الصوت قوياً وواضحاً ، في هذه المرة.. فكر أن يفتح الشرفة.. التي تطل علي الشارع.. الذي لا يعرف احدا فيه.. فهو غريب في المدينة.. وجاء من اجل تحصيل العلم.. لا يدري لماذا تذكر أصدقائه..الذين كانوا يريدون ان يخرج معهم الليلة.. ليتمشى معهم في شوارع المدينة.. ويتعرف علي

معالمها..وتذكر أيضاً.. كلامهم له.. تمني لو جاءوه الآن.. وتمني أيضاً لو كان خرج معهم.. وتذكر أيضاً، وصية أمه عند سفره.. وهي تحزم له اغراضه ، وترتب له ملابسه في شنطة سفره.. وعلي وجهها علت مسحة فرح.. ممزوجة بالحزن علي بعاده.. فهو ابنها الوحيد.. الذي طلعت بهِ من الدنيا.. هكذا كانت تذكره.. وتقول له دائماً

ــ " خلي بالك يا بني من نفسك.. واوعي تروح كده ولا كده.. الولاد الوحشين يفسدوا بعض يا ابني.. والبنات ابعد عنهم.. قطعت سيرتهم.. دول ما ورآهم غير التعب.. والهم ، ووجع القلب.. انتبه لمذاكرتك ودروسك.. وبص علي حال أبوك وأمك.. واديك شايف الحال قدامك.. وتروح وتجي بالسلامة.. وربنا يحفظك يا ابني

" وتذكر أيضاً انه لم يفتح الشرفة.. منذ جاء إلى هذه الغرفة.. فهو تعمد ان لا يفتحها.. حتي لا يزعجه الضجيج القادم منها.. الصوت مازال يأتيه من الخارج.. تشجع ، وقام ، فتح " البلكونة " كان الوقت بعد العصر بقليل.. وقف ينظر ، وبيده الكتاب ، فرآها.. فتاة في سن الزهور ، جميلة جدا.. لا يستطيع أحداً أن يراها.. ويحول عينيه عنها.. لشده جمالها ، وأنوثتها الطاغية.. ابتسم وهو يقول لنفسه :

ــ هذه هي إذا ألشيطانه التي كلموني عنها.. وحذروني منها.. هههههه !.

نظر إليها فابتسمت.. ودحرجتْ المساء تجاهه.. كان صوتها كموسيقي حالمة، لم يرد عليها.. تظاهر أنه مشغول عنها بالمذاكرة ، والنظر في الكتاب الذي

بيده.. هو سمعها جيداً.. ولكنه لم يرد.. اراد ان يرد.. ولكنه خاف ان يرد.. انتزع نفسه بسرعة منها.. وعاد إلى غرفته.. اغلق الشرفة بنفس السرعة.. فسمع ضحكاتها وهي ترن في أذنه.. وتصفعه من الخلف، وتدفعه مثل السحر.. جعلت جسده يقشعر، وشعره يقف في رأسه ، استعاذ بالله من الشيطان، ومنها.. جلس يلقف أنفاسه المتلاحقة.. وراح يهدئ من روعه.. فجأة ظهر أصحابه في الغرفة.. وهم يضحكون عليه.. هكذا تخيلهم جالسين، وملتفين حوله.. وهم يصفقون، ويشيرون إليه بأصابعهم، ويضحكون.. القي الكتاب من يده بعيداً عنه في حنق.. فرد جسده علي السرير.. وضحكاتها مازالت ترن في محيط أذنيه مثل الطبل.. سد اذنيه بأصابعه.. تضحك.. يضع يديه علي إذنيه.. يرتفع صوت الضحكات.. يضع كل الوسائد علي راسه.. حتي تختفي ضحكاتها.. وضحكاتهم.. لم يفلح أن يبعد الصوت عن اذنيه.. ولا صورتها أيضاً من أمام عينيه.. برغم انه أغلق الشرفة.. وأطفأ المصباح، وأغمض عينيه.. ووضع كل الوسائد علي رأسه.. لم يفلح في ذلك.. ماذا يصنع.. فصورتها قد طبعت في عينيه.. وتكاثرت في رأسه.. وتناسخت بعدد كرات دمه.. حتى صارت ملايين النسخ.. وبعدد خلايا جسده.. وكروم زناته.. فصارت كالفيروس اللعين الذي يضرب جهاز الكمبيوتر فيعطبه ، ويوقفه عن العمل.. هكذا كانت هي تعمل فيه.. غزت كل كرات دمه.. وكل خلايا جسده.. منذ أن رآها.. تري ماذا يصنع حتى يتخلص منها.. ؟!... .

تعود في كل يوم أن يراها، تقف أمامه ، صامتة.. وقد تخففت من ثيابها.. مفرودة الشعر.. تطل من البلكونة.. المقابلة لغرفة نومه.. تفرك يدها البض.. في نهدها النافر.. تتلفت في توتر.. وقلق.. وعيناها تدور في محاجرها.. هنا وهناك خشية أن يكون أحداً غيره يراها.. تنفخ في الهواء.. فيشعر بقلبه يرتجف.. يعلو ويهبط في صدره.. ويذهب في مهب الريح ، وحين تتأكد أن أحداً لن يراها غيره.. تلج إلى الغرفة.. ببطء.. وتؤده.. تتميس في مشيتها.. تتبختر.. تترنح علي طريقة " ستريب تيز.. **strip..** **tease**" تجلس على السرير الخشبي.. تضحك بصوت منخفض.. وهي ترمقه بنظرتها الواعدة.. يتظاهر بأنه لا يراها.. تفتعل صوتا ، تكح ، تسعل.. ينظر إليها.. فيمتقع لونه.. ويشرد الدم في عروقه.. تعتدل من جلستها.. يبهت.. تبتسم.. ابتسامة.. بلهاء.. فيطير عقله من رأسه.. ويفر ، تُحَلِّل شعرها بأصابعها الطويلة.. تطوح به في كل اتجاه . ترميه بنظرة أَحَدُّ من الخنجر.. يجف ريقه ، وينشف، من جديد تغيب في زفرة طويلة.. متقطعة.. تتأوه ينتفض كالعصفور المبلول.. وقد انهمر عليه المطر فجأة.. فيفقده القدرة علي الطيران.. برهة من الصمت القاتل.. تلم أعضاءها المبعثرة أمامه.. تقف أمام المرآة ، الضخمة، تترنح، تتمايل، تدعك يديها في صدرها برفق.. وكأنها تريد ان توقظه.. وتوقظ الحواس الخمس، تشهق ، تزفر، تتأوه ، تترنح كغزالة شاردة تمرر يديها بين طرقات جسدها العاجي..

تقف عند منحنيات الجسد الثائر.. تمشط شعرها من جديد.. ترميه للوراء بيدها الحاسرة.. تنظر إليه.. وهي تمسك بفستان نومها الأسود.. تدندن بصوت رخيم..

ــ " ساكن قدام بتنا ، وبشوفك بعنيا ، ليه يا بن حارتنا ، سايق التقل علي"

وتمضي ساعة ، أو تزيد ، وكلاهما ينظر للآخر في صمتٍ ، وتوترٍ ، وترقبٍ ، وقلقٍ وذهولٍ.. وكأنه انتقل إلى عالم آخر....... ".

****

غراب.. ويمامتان

قصة قصيرة

على جزع نخلة قديم تحط يمامتان.. والنافذة مشرِعة على الحقول الشاسعة.. وأكوام البوص ملقاة على قارعة الطريق.. والوقت وقت حصاد.. والأفق المتسعة تعبث فيه موجة هواء طرية جميلة.. . وكان الوقت ضحى.. .

اليمامتان تلعبان لعبة الحب الأزلي.. تتلامسان ، تتنافران ، تتقافزان ، تتناقران.. راقني المشهد جداً.. فقلما أحظى بمثله.. وظلت أتابعهما عن كثب.. وأتأملهما من النافذة.. فأنا أحب الطيور جداً بكل أشكالها ، وأنواعها.. ودائما أشعر بألفة من نوع ما بيني وبينها.. ربما لأن عالم الطيور أمة أمثالنا.. مثل عالم الإنس ، والجن ، والدواب تماماً بتمام.. أو ربما لان أمي الحبيبة ــ الله يرحمها ــ كانت مولعة بحب الطيور.. وكانت لديها هواية مفضلة.. تربية الطيور في بيتنا الكبير وأنا أخذت هذه الهواية عن أمي الحبيبة.. .....

((أنا أحب الطيور.. وأعشق البحر، والسماء صافية.. وأحب البط، والحمام، والفراخ ، والإوز.. وأحب أن أربيها، وأن أقنيها، واقتنيها.. فتربية الطيور من أجمل الأشياء لدي.. كما أن عندي خبرة واسعة في هذا المجال، وأستطيع

أن أعرف ، وأميز بين الذكر والأنثى ، بكل سهولة ويسر.. شيء جميل ورائع أن تحب هذه الكائنات اللطيفة ، الرقيقة الجميلة ، المعلِمة ، الملهمة..)).. ..

لا أدري لماذا جاء في ذهني ألان.. سيدنا " سليمان عليه السلام ".. وكيف علمه الله لغة الطير.. وأيضا سيدنا " نوح عليه السلام ".. حينما أرسل الغراب.. ليأتيه بالخبر اليقين ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه سيدنا " نوح " بالخوف فلذلك لا يألف البيوت.. ثم بعث الحمامة ، فجاءت بورقة زيتون بمنقارها، وطين برجلها ، فعلم أن البلاد قد جفت ، فطوقها الخضرة التي في عنقها.. ودعا لها أن تكون في أنس ، وأمان.. ومن ثم تألف البيوت ــ وأن كان هذا أثر غريب جدا ــ

وهذا سيد الخلق سيدنا محمد " صل الله عليه وسلم ، وهو في الغار.. جنّد الله له الحمامة ، مع العنكبوت.. ليخفيه عن أعين الكفار.. وقصص أخري كثيرة جدا.. تذكرتها.. وجاءت تتزاحم في رأسي.. .

اليمامتان ، يقترب أحدهما من الأخر.. يتناقران.. يتلامسان.. وأنا أنظر إليهما باهتمام بالغ.. وهما يقفان على جزع النخلة القديم..

أذكر لكم ، طرفة حدثت لي ، مع طيور أمي التي كانت تربها.. ..

وأنا في مرحلة المراهقة الذهنية.. أذكر في العشرينيات تقريباً.. كان لدي نهم شديد للمعرفة ، والاطلاع ، وكنت مولع بالقراءة ، والبحث في كل مجالات المعرفة وقد وقع في يدي بعض الكتب الصفراء التي تتحدث عن السحر الأسود ، والإيحاء وقراءة الأفكار ، والتخاطب عن بعد ، والتنويم

المغناطيسي ، فكنت أجلس بجوار الطيور التي تربيها أمي فوق المنزل ، لفترات طويلة.. أفكر ، وأتأمل فيما أقرأه.. ثم أحاول أن أطبق ، وأجرب ، ما قرأته علي الطيور.. وذلك بأن أحاول أقرأ ما يدور في رأسهم الصغيرة ، والسيطرة عليهم ذهنياً.. بتوجيههم ليأكلوا مثلاً، أو يشربوا ، وأوحي لهم بأشياء أخرى، أمرهم بها كي يقوموا بفعلها عن طريق التأثير الذهني.. والتخاطب عن بعد.. وفي النهاية كانت تجربة فاشلة بامتياز بالنسبة لي، ربما.. أو ناجحة بكل المقاييس ، ربما.. أو هكذا خيل لي.. .

اليمامتان يلعبان ، يتشاغبان ، يتغازلان ، يرتفعان ، يهبطان ، يعتركان فوق كومة البوص ، تحت جزع النحلة، المرابطة علي أول الطريق، والتي قطعها عم "أحمد" صاحب الحقل مع صويحباتها اللاتي كنَّ على رأس الحقل.. لأن الأطفال يرجّونها بالحجارة، ليتساقط البلح منها ، فيملئون زرعته بالحجارة ، وذلك عندما يكون غير موجود.. فكان ذلك يغضبه.. لذلك قطع كل النخلات التي على رأس الحقل، والتي تطل على أول الطريق ليستريح من وَش الدماغ، ووجع القلب، وجمع الطوب ، والحصى ، والحجارة من بين زرعته التي تعب فيها.. ..

وأنا طفل صغير.. كثيراً ما فعلت هذا أنا ورفاقي.. ولكم ذهبت أنا ورفاقي أيضاً صوب الحقول المزروعة في الربيع، وفي الخريف.. وفي الشتاء ، وفي الصيف ومع كل واحد منا "فخ حديدي" مصنوع خصيصاً لصيد العصافير، والقمري ، والسمان.. ادخرت ثمنه من مصروفي.. واشتريته من رجل يصنع

الفخاخ.. وكنت أُعبأ جيبي بالغلال التي اشترتها أمي ، لتضعها للحمام ، والدجاج تحت سلم بيتنا الكبير.. وذلك طبعاً كان يغضب أمي ، والتي كانت كثيراً ما تتشاجر معي بسبب هذا.. وحتى لا أفعل ذلك.. ومع ذلك كنت أغافلها.. وأفعل ما أريده ، من ورائها ، حتى لا تعاقبني على هذا.. . يا لكم كانت أيام جميلة حقاً.. .

اليمامتان ، يطيران في الفضاء بعيداً.. وأنا أمد بصري ورائهما، وأطير خلفهما ، واتبعهما عن كثب أنَّى حلا، ويطير عقلي في ذات اللحظة إلى عالم الماضي الجميل، واسترجع عالم الطفولة.. وأشتَرُّ ذكرياتي الساحرة الجميلة .. هكذا كنا نفعل أنا ورفاقي، ونحن صغار، نصل حيث المكان الذي ننصبُ فيه أفخاخنا ، نضع حبة غلة قيضي في رأس عروسة الفخ ، ونحرف القصبة على طرف العروسة، بحيث لو لمستَ الحبة التي هي في رأس العروسة ، لضَرَبَ الفخُ في وجهك، وربما أمسك بيدكَ فعوركَ ، أو آلمك.. ثم نضع الفخ الحديدي بالراحة وببطء شديد على الأرض، ثم نغطي الفخ بالتراب الناعم، ونظهر حبة الغلة البيضاء، وهذا شرط مهم لابد منه، حبة غلة بيضاء، حتى تستطيع العصافير، أو السمان رؤيتها عن بعد.. لتأتي مسرعة لها لتأكلها ، فيصطادها الفخ ، وما أن نرى كومة التراب طارت في الهواء.. حتى نعرف بأن هناك صيد ثمين وقع في الفخ ، فنجري كلنا نتسابق ، من أجل أن نعرف صاحب الفخ الذي صاد العصفور ، فيمسكه بسرعة ، يحاول إخراجه برفق ، حتى لا يموت.. والباقي ، كُلٍ يطمأن على فخه.. ..

هاهما اليمامتان يأتيان مرة أخرى.. ولكنهما في هذه المرة يقفا على الأسلاك الكهربائية العارية.. وكل منهما يبعد عن الأخر بمسافة.. يرفرفان بجناحيهما تارة ، وأخرى يهتزان ، وكأنهما يتمرجحان في الهواء.. ...

زمان كنت أستعجب ، وأستغرب ، وأستفسر عن السبب.. ورحت أبحث عن السر واسأل.. ؟!!.. لماذا الطيور التي تقف على أسلاك الكهرباء العارية لا تتكهرب..؟.. أو تصعق.. ؟.. أو تموت..؟!!.. وهي تضع يديها ورجليها تمسك بالسلك العاري.. ؟!!.. وظل هذا السؤال يطاردني.. ويحيرني ، وأنا أبحث له عن إجابة.. ؟.. حتى كبرت.. وعرفت بأن الطيور التي تقف على السلك لا تتكهرب.. أو تصعق، أو تموت، وذلك بسبب أنه كما هو معروف.. " جريان التيار الكهربائي لا يمكن أن يتم ، أو يسير عبر الجسم، أو السلك إلا بوجود نقطتان مختلفتان في الجهد تتصلان بطرفي الجسم ، أو السلك، كما هو حادث عندما تقوم بتوصيل السلك على طرفي البطارية.. والطير عندما يجلس على سلك الكهرباء سواء برجل أو رجلين فإن التيار لا يمكن أن يسير من خلاله ــ الصعق الكهربائي ــ لعدم اتصال الجسم بطرفٍ ثاني.. لكن.. وهنا مكمن الخطر.. بمجرد اتصال أي جزء من الطير بالأرض ، أو بشجرة ، فهنا تتكون دائرة كهربائية، ويصبح جسم الطير موصل للكهرباء ، فيصاب الطير بالصعق الكهربائي ويموت.....

اليمامتان تطيران في الهواء ، من جديد.. والحقول تحيطهما من كل جانب.. تمرحان في الأفق.. شدني المشهد أكثر ، ولا أدري لماذا.. ربما لأني أحسدها

لقدرتها علي الطيران، والتحليق في الفضاء لمسفات بعيدة، دون رادع، أو قيد من أحد، أو ربما لأني كنت وأنا صغير، أحب صيد العصافير، والقمري، واليمام الجبلي، والسمان، أو ربما تكون بداية قصة جديدة، تبلورت في رأسي.. أو ربما كان لشيء آخر لا أدريه.. ....

أذكر ذهبت ذات مرة إلي حديقة الحيوانات ، فوجدتني مشدودا نحو قفص العصافير الملونة.. أقف بالساعات، ومن غير أن أشعر بالوقت.. أتأمل أصواتها ومنظرها الجميل، وأسرح في الخيال، والتخيل أني مثلهم، وأشعر بشعورهم... " هل تخيلت يوماً أنك تشعر بمشاعر العصافير ".. وكان يحزنني أني أراهم محبوسين في الأقفاص ذات الأسلاك الشائكة.. وكان هذا يحزنني كثيراً جداً ، ويؤلمني.. ولكم كنت أتمنى.. ولو الأمر كان أمري ، ولو كان بيدي لكنت أطلقت سراحهم جميعاً.. وكنت أتخيلهم وهم يقفون أمامي.. فوق الشبكة السلكية.. وعبر الحبال الممتدة داخل القفص وهم يبكون، ويشكون لي، عن السجن الذي هم فيه.. وسلبهم لحرياتهم.. ويتمنون لو أنهم يعودون إلي الفضاء الرحب، الجميل، ليعيشوا ، كغيرهم أحراراً.. ...

صوت عربة قادمة من بعيد ، تفزع الحمامتان ، فوق الجسر الترابي ، يطيران في الهواء، ليستقرا في هذه المرة.. وسط حقول القمح التي تم حصادها مُذ أيام يظهر فجأة في المشهد ، غراب أسود ناعق بصوت عال.. فيغير المشهد تماما.. يقف فوق جزع النخلة القديم.. يحتل المكان وهو يهز رأسه.. لا أدري لماذا..؟!.... أنا كلما رأيت غراب.. تذكرت تلك القصة الضاربة في

عمق الماضي، والتي لا يزال التاريخ يذكرها قصة " قابيل وهابيل " وكيف بعث الله الغراب دون عن سائر الكائنات ليريه كيف يواري سوءة أخيه..؟!.. بعدما حمله على ظهره ، وطاف به في الأرض.. وهو لا يدري ماذا يفعل معه.. عالم الغربان عالم عجيب، وغريب حقاً.. لقد قرأت عنه الكثير.. فهالني ما قرأت وأذهلني ما عرفت.. عالم الغربان، كما تقول الدراسات العلمية ، عالم خاص، وفيه ما يشبه العادات والتقاليد، والأعراف المتَبعَة لديهم.. فأي فرد منها يخرج عن النظام العام، المتبع لديهم حسب قوانينهم " قوانيين العدالة الفطرية التي وضعها الله سبحانه وتعالي لها ".. تعقد له محكمة عاجلة.. ولكل جريمة لديهم عقوبة خاصة بها.. فجريمة اغتصاب طعام أفراخ صغيرة مثلاً ــ عقوبته ــ تقوم مجموعة من الغربان ، بنتف ريش الغراب المعتدي، حتى يصبح عاجزاً على الطيران، كالفراخ الصغيرة.. وجريمة اغتصاب العش، أو هدمه.. تكتفي محكمة الغربان بإلزام المعتدي ببناء عش جديد للمعتدى عليه.. كما أن جريمة الاعتداء على أنثي غراب آخر، تنعقد محكمة عاجلة ، في حقل من الحقول الزراعية ،أو في أرض واسعة، وتتجمع هيئة المحكمة في الوقت المحدد، ويأتي بالغراب المتهم تحت حراسة مشددة، ثم تبدأ المحاكمة، وهو منكس الرأس، وقد خفض جناحيه وأمسك عن النعيق ،اعترافاً بذنبه.. فإذا صدر الحكم بالإعدام، وثبتت عليه الجناية بالأدلة والبراهين.. وثَبَتْ عليه مجموعة من الغربان.. توسعه ضرباً، ونقراً، فتمزقه تمزيقاً، بمناقيرها الحادة حتى الموت.. ثم يحمله أحدهم

بمنقاره، ويحفروا له، قبراً على قدر جسده، يضع فيه الغراب القتيل ، ثم يهيل عليه التراب.. احتراماً لحرمة الموت... وهكذا تقيم مملكة الغربان العدل الإلهي في الأرض.. أفضل مما يقيمه كثير من بني البشر ".....

اليمامتان تطيران في الهواء.. حتى تغيبا عن بصري تماماً.. وأنا واقف مكاني، أنظر للفضاء البعيد، وشريط الذكريات يكرّ ، وتمّر من أمامي سنين طوال، جميلة ويطير عقلي إلى عالم الماضي الجميل.. أسترجع عالم الطفولة.. وأشتر ذكرياتي حين كنت فيها طفلاً شقي، وعفريت.. هكذا كان ينعتني الجميع.. أحب الحياة.. والحرية.. وأحب اللهو، واللعب مع رفاقي.. وأحب صيد العصافير ، واليمام الجبلي ، والسمان.. وأحب أمي ، وأبي ، وأخوتي ، والناس جميعاً.. . و.. .....

****

نورا

قصة قصيرة

والعربات بأزيز محركاتها وهي تقطع نهر الشارع ذهاباً وإياباً، بضجيجها الذي يكاد يصم الأذان ويجلد الأعصاب مخلِّفة ورائها شبورة كثيفة سوداء وتلوث سمعي وبصري، أنا كنت واقف هناك علي عربة اللب، والفول السوداني أبيع وأشتري ، علي ناصية الشارع الطويل ،

وهي طول اليوم لا تكف عن الكلام ، والضحك ، والمرح ،

ــ صباح الخير يا واد أنت يا عسل.. ؟

ــ.. ....

وجهها قد تَوَرَّدَ من الشمس الحارقة ، وعلي رأسها أشرب أو طرحة سواء ، معقودة بعناية وبطريقة ما ، بحيث يتدلى احد طرفيها علي خدها الأسيل ، ويكاد يلامس كتفها الممتلئ ، والطرف الأخر من وراء رأسها ، ترتدي بدله برتقالية "سَلَبُتَه " تزيدها جمالاً على جمالها ، تراها فارعة الطول ، ممتلئة بغير ثمنه ، وباختصار يمكن أن أصفها لكم ، وألخصها في كلمة واحدة.. مهرة جموح ، بيضاء

ــ صباح الفل علي عيونك يا جميل

ــ.. ......

نسمة هواء طرية تملأ المكان ، وهي تقترب من العربة التي أقف عليها ، تمدّ يدها دون إذن مني ، تكبش حفنة من اللب الأسمر ، تضعها في جيبها وأنا لا اعترض على فعلها، فقد تعودت علي ذلك منها، فقط أنهمك بفرش العربة، أضع عليها البضاعة التي ابتاعها، ثم تسألني عن صديقتها"...." إن كنت قد رأيتها أم لا .؟.. وهل مرت عليّ هذا الصباح.. ؟.. وهل صبّحت عليّ أم لا..؟.. أعصر ذهني، وأنا أحاول أن أتذكر، وعندما أفشل أعتذر لها بأني كنت مشغول، ولم أخذ لبالي منها، فتمد يدها إلى بعض حبات اللب الأبيض، تضع واحدة في فمها، وهي تبحث عن صديقتها بعينيها في كل اتجاه، علَّ وعسى أن تراها، وأنا من حين لآخر، غارس عينيَّ في وجهها العربي الأبيض المدوّر الذي يشبه البدر ليلة تمامه، وكأني أري"روقة " بكل شخصيتها في فلم " العار" تقف أمامي ، تكاد تكون مطابقة تماماً لنفس الشخصية التي قامت بها الفنانة " نورا" باقتدار بنت بلد مجدع بصحيح ، وأنا أحب وأهوي جدا هذه الشخصية، وكم كنت أتمنى بأن أرتبط بواحدة لها نفس المواصفات ونفس الشخصية ،

ـــ آيه يا عم ، اللي واخد عقلك ، رحت لفين.. ؟!!

انتبهت علي صوتها العذب، وهو يسحبني كرائحة الياسمين ،ابتسمت لها وهي تهّز برأسها ويدها في حركة واحدة، والبسمة توأم شفتيها، وعلى وجهها صحبة ورد ، ورحت أرتب العربة من جديد ، وبيدي الأخرى كوب الشاي، ارتشف منه حتى لا يبرد ، فتمد يدها البيضاء الملتفة ، نحو يدي

ــ إيه الذوق ده ، مش تقول أتفضلي

ــ.. .....

تأخذها من يدي، تكمل ارتشاف ما تبقي منها، تجلس بجواري علي الكرسي الذي أجلس عليه عندما أتعب من الوقوف، فتحت الحديث معي ــ كعادتها ـ لعنت الدنيا، وعابت علي الحياة، وهي تنعت حظها الأسود، الهباب وتمنيتُ لو كنتُ التقيتها في زمن غير هذا الزمن، أشعلتُ سيجارة "كيلوبترا" في هذه المرة وهي تحكي ملئت عينيَّ منها وتشبّعت . ورحت أسرح بخيالي الواسع ، تخيلتها ملكة في قصرٍ مشيدٍ كبير به حدائق غناء، والماء يجري من تحت أقدامها، والأشجار الملتفة مليئة بالثمار اليانعة، والعصافير تغني للشمس وللهواء، وزهور الربيع ترقص علي الأغصان ، وأنا وهي نجري ونلهو ونلعب ، ولا نألو علي شيء ،

يخرجني من حلمي الجميل صوت شاب أعرفه جيداً ، من شباب المنطقة التي أقف فيها ، يطلب مني بأن أملأ له كيساً من اللب " بجنيه " فهو كثيراً ما يتحجج بالشراء،عندما يراها تجلس بجواري، أو تحادثني، فيقوم بتلقيح الكلام علينا ، من نوعية

ــــ " الله يسهلك يا عم ماشيا معاك حلاوة واللي ياكل وحده يزور " كثيرا ما يستفزني كلامه ،وأسلوبه القذر، وتمتعض هي لكلامه بل وتتقزز لذلك ، فأراني أمتص غضبي ، وأضبط أعصابي وأضغط علي نفسي، حتى لا تفلت مني في لحظة، فأتهور عليه وأضربه، لا من أجل أن هي تطلب مني ذلك،

ولكن أيضاً حتى لا يكون سبب في قطع عيشي ، فأنا غريب عن المدينة، وليس لي فيها أحداً، إلا صاحب العربة التي أعمل عليها، وقد أوصاني بعدم التشاجر مع أحد ، حتى لا ننقطع لقمة عيشي ، هكذا قال لي ، فأنا لم أدعوها يوماً للحديث أو الجلوس معي، إطلاقاً البتَّة، ولا مرة، هي التي، تجيء من نفسها وكلمتني، عندما رأتني لا أتكلم مثلهم ، ولا بلغتهم ، ولا أتعامل بطريقتهم، فأنا مختصر في حالي، وكثيراً حاولت أن أبعدها عني، حتى لا تسبب لي في مشاكل، لكنها كانت ترفض ذلك ، وتصرّ علي المجيء إليّ، والحديث معي، بل أكثر من ذلك أحياناً كانت تترك أغراضها التي تشتريها من السوق، والتي يمن بها عليها أهل الخير من أهل المنطقة، وأصحاب المحلات التي في الشارع الذي تعمل فيه، ثم تعود أخر النهار لتأخذها مني هي وصديقتها، معللة ذلك بأني إنسان شهم وطيب ونبيل، وليس عندي خبث أو خباثة، ولا لؤم، وبأنها قد ارتاحت لي، لذا كانت كثيراً ما تأتي إليَّ بحججٍ واهية، لتتحدث معي، وتحكي لي عن حياتها الخاصة ، حتى أدق أدق التفاصيل ، لا تبخل بها عليَّ ،

أذكر ذات مرة... حكت ليّ قصتها كاملة ، من طقطق لسلام عليكم ، كل حياتها بالتفصيل الممل، عن نشأتها، وأسرتها البائسة الفقيرة، وعن طفولتها المعذبة ، وكيف تزوجت وجاءت، وانتقلت مع زوجها إلى القاهرة للعمل، وكيف تعاني من العيشة، ومن الحياة القاسية، فهي أم لأربعة من الأولاد الصغار، وزوجها رجل أقعده المرض، حتى جعله لا يستطيع بأن يقوم

بأعبائه كرب أسرة، فاضطرت أن تقوم هي بدوره، حتى حقها الشرعي كزوجة لا يستطيع أن يعطيها كرجل ، وكيف تعاني من الحرمان العاطفي ،، و،، و ،، و ،،

تقوم من مقامها فأجلس أنا مكانها، فالشمس قد سيحتني ، ورجلاي تعبت تمسك بيدها مكنسة غليظة مصنوعة من عرجون ولحاء النخيل ، أسمعها تغني بأغنية مشهورة، وهي تكنس بمقربة مني ، فوق الرصيف، أغنية تعبر عن حالها ، وكثيراً ما اسمعها وهي ترددها

ـــ آه لو لعبت يا زهر ، واتبدلت الأحوال ،

أُشعل سيجارة أخرى ، تستدير بظهرها فتعطيني فرصة بأن أغرس عينيَّ في مؤخرتها ، ثم تستدير نحوى من جديد، تحدّجني بنظرات فاحصة وقاتلة ، فأراني أتصبب عرقاً، وأتبخر لمَّا تقترب مني، وتدنو، وهي تضحك في هستريا، فتفصح عن صفين من اللؤلؤ الجميل، حتى تميل برأسها للوراء والناس يمرون في الطريق، بعضهم يلتفت، وبعضهم الآخر لا يعنيه الأمر، تمدّ يدها لبعض حبات الفول السوداني ، تضغط على واحدة تقشرها ، تلقي بها لأعلى في الهواء، لتلتقطها بفمها الذي تحوطه هالة من العرق، نقاط صغيرة تشبه الندي الذي يكون فوق أوراق الوردة الحمراء في الصباح ، وأنا واقف وقد هزتني ضحكتها الحلوة ، ونظرة عيناها الساحرة أبهرتني ، أسمع صوتها الرخيم ، تقول لي وهي تبتسم،

ــ إلا بالحق أنت ما تجوزتش ليه لغاية دلوقتي.. .؟!!

ــ لسه بدور علي الإنسانة المناسبة

ـــ مناسبة أزاي يعني ، عشان أدور لك عليها ، ؟!!

ـــ أنت قفي أمام المرآة تلقيها قدامك علي طول ، أنا عاوز وحده زيكِ ،،

ـــ.. .....

تطأطئ الرأس في خجلٍ ، تصمت قليلاً ، وأنا التهم وجهها الأبيض المتورد ، وعجوز تقترب من العربة

ــ ربع كليو لب قرع ابيض لوسمحت يا ابني

تتقدم، تولت هي القيام بالبيع للعجوز، فهي دائماً تفعل ذلك عندما تكون واقفة معي، بعد ما تقوم بعملها بكنس الشارع الطويل الممتد إلى نهايته تأتي إليّ تجلس وتبيع معي، فهي عاملة نظافة، تعمل ظُهرات من فترة طويلة، تبع مجلس المدينة، وما أن تنصرف العجوز حتى نسمع صوت صديقتها وهي تناديها من بعيد، وقد ركبت علي عربة " كرّو " تقف، تسرع، تركب معها ، المحهما يتهامسان ، ويضحكان ، وهما يشيران بأيديهما نحوى، وأنا لا أملك إلا أن أرد بالإشارة، أُلوح لهما بيدي، مبتسماً، وعيناي تتبعهما، والعربات بأزيز محركاتها وضجيجها الذي يكاد يصم الأذان، ويجلد الأعصاب وهي تقطع نهر الشارع ذهابا وإيابا، مخلفة ورائها شبورة كثيفة من الدخان الأسود، وتلوث سمعي وبصري، وأنا كنت واقف هناك علي عربة اللب، والفول السوداني أبيع واشتري علي ناصية الشارع الطويل.. ..

وطن

قصة قصيرة

قاتل الله الرتين، والبيروقراطية.. الكهرباء لم تصل بعد.. إلى العمارة القاطن بها والمجاري مازالت طافحة،.. والمياه لا تصلح للاستخدام الآدمي،.. هذا إن وجدت أصلا.. سبعت اشهر مضت.. والحال كما هو الحال، محلك سر.. اشتكينا لطوب الأرض، إنا وقاطني العمارة، ومع ذلك لم نرى أحد يهتم ، وكان الرد من المسالين،، متقطب ، دائماً ، وموتوره.

- النور سيأتي قريبا.. انتظرونا ؟؟!!!
- والمياه.. ....؟
- خط المياه سنقويه لكم وربما نستبدله بخط آخر لأنه صدأ وتهرأ وتأكل
- والمجاري.. ....؟
- أخطرنا البلدية وقامت مشكوره بأرسال عربتان كنس صحي ليأتوكم

كل هذا لا يهم ، المهم أنى إنا ألان، أصبحت صاحب وطن، يا آه أخيرا، وحدة السكنية في مساكن شعبيه.. صحيح هي صغيرة.. لكنها وطن كبير يمكنني العيش فيه بهدوء.. بعيدا عن العمران، سأعيش فيه تحت أي ظروف.. على الشموع، أو حتي على ضوء القمر، ما دام منعزل تماما عن

العالم ، فهذه فرصتي الذهبية ، لكي استطيع أن أقرأ واكتب في هدوء وصمت، وطمأنينة وأفكر وأتأمل هذه الطبيعة الخلابة ، يا روعة ان أخلو بنفسي.. قليلا من الوقت، وأهرب من كل شيء، حيث لا شيء هنا يزعجني.. لا شيء يقتحمني، يقطع خلوتي، أفكاري، يصادر تأملاتي، أو ان يحجر على عقلي ، وروحي بان تسبح في الفضاء، الممتد سوي كلب اسود خلف العمارة.. تمتلكه ، تلك المرأة السمراء التي تبدو في العقد الرابع من عمرها ، قالت لي ذات مره " بانها ترملت.. على ابنين صغيرين.. من زمن بعيد ، ودفنت شبابها بالحياة، وإنها رفضت الكثير، من أجل أن تنكس تحت حملها، لتشيله لوحدها " وهدير العربات من حين لآخر، يقطع خلوتي، وصوت مكنة الري، واسط الحقول الخضراء الشاسعة المترامية الأطراف ، وأنا وحدي هنا، بعيدا عن ضجيج المدنية المزدحمة ، الخانقة بهوائها الملوث بالأتربة والدخان الأسود، ذات العلب الخراسانية ، التي تحجب شعاع الشمس، والناس في الطرقات يهرولون تائهون.. اليوم تركت كل شيء..وجئت لأجلس منفرداً.. في الشرفة المطلة على الشارع، حيث القبة الزرقاء، والأرض الخضراء، والشمس الساطعة وأعمدة الإنارة ،وحقول الذر، والنخيل، وأشجار السدر، والسنط العتيق الضارب بجذوره في عمق التاريخ ، والبنيات الطينية، ذات الطابق الواحد ينبعث منها رائحة دخان الحطب،وأصوات الماشية والجبل الغربي على مرمى البصر يتحدى الزمن وتجوفانه،ونتوءاته الظاهرة،وحفيف الأشجار لوحة ربانيه فائقة الجمال والروعة، الهواء النقي يعبث بأوراق

الشجر، والسكون يملأ الكون، ومضى الوقت سريعا، وانا لم أشعر إلا والشمس تجنح للغروب ، والليل يسحف في بطء ، نظرت لساعة معصمي، كانت تشير لسادسة مساء، فأمسكت عن الكتابة ، اغلقت الدفتر وألقيت بالقلم ، وقمت بهدوء ،،

****

حُلم

قصة قصيرة

في الوقت المحدد ذهبت.. ركبت السيارة.. وبيدي صحيفتي المفضلة.. ألقيت نظرة سريعة فوق الوجوه الناعسة داخل السيارة.. والعيون التي لم تزل تقاوم النوم ، ارتخيت فوق الكرسي.. السائق ينادي على نفر واحد

ــ فرد واحد.. فرد واحد.. نفر ، نفر ،

الميدان يعج بالمشاة.. علي بعد مائة متر.. غرزة شاي صغيرة.. صاحبها منهمك في تقديم الشاي للسائقين ، والزبائن من الركاب.. وبائع الفول المدمس ينادي ، وهو يعُد بعض السندوتشات للموظفين :

ــ الفول المدمس الحلو..

وبائع الصحف واقف علي الرصيف.. وتحت أبطه كومة من الجرائد والمجلات.. .

ـــ مازال الوقت مبكراً

وأنا أتلفت على جارتي.. ربما تأتي لنذهب سوياً.. ورحت أفكر ، وأسرح بعقلي ، وتركة لعقلي عنان الخيال ، ورحت أتخيل.. وأحلم... " حلمت.. بالنجاح في الامتحان ، والوظيفة.. والزواج.. والبيت.. والأسرة.. والأولاد.. والاستقرار والحياة الكريمة.. . و.. و.. . و.. "

أخيراً انطلقت العربة.. فوق الطريق الزراعية.. راحت عيناي تلتهم كل ما يقابلها في الطريق.. الحقول الخضراء.. النخيل.. البيوت.. الناس.. الأنعام المبدورة وسط الحقول.. بعض الدكاكين تفتح أبوابها.. العربات الملونة تسبح في نهر الشارع.. والشمس تُعاكس السائق، الذي يرفع يده، ويشير للذين يلوحون له بأيديهم ليقف لهم.. يضرب " تلكسات " يهدئ من سرعته.. أمام أحد المدارس وهو منهمك في معالجة شريط " الكاست".. فيخرج الصوت مشروخ.. يضرب المسجل بيده.. يخرج الشريط مرة أخرى.. يهزه بيده، يضربه "بتبلون" العربية.. يضغط عليه مرة أخرى ، يدخله في الكاست ، بعدما ينفخ فيه بفمه.. والصوت لم يزل مشروخاً يردد خلف المغني..

ــ غلطة.. وندمان عليها ؟..

أخرجت سيجارة من جيبي، أشعلتها.. نفخت الدخان بعيداً.. قلبت الصحيفة بين يدي.. دسست وجهي بين أوراقها.. نظرت في ساعة معصمي.. كانت تشير للتاسعة صباحاً.. ورحت أردد في نفسي.. .

ــ ما زال الوقت مبكراً.. ؟

الموقف قريب من ميدان الثقافة.. ترجلت.. حتى وصلت قلب الميدان.. فردت خطواتي.. حتى أتفادى زحمة العربات.. مسكت قدمي الرصيف.. الجدار علق عليه إعلان ضخم.. للفنان أحمد أدم "شجيع السينما" تذكرت الضجة الإعلامية حول هذا الفيلم.. فكرت أن أدخل لأشاهد العرض..

منعني الخوف من التأخير عن المعاد.. فتابعت السير ، والتسكع.. علي الطريق.. ريثما أصل المكان ،

ــ مازال الوقت مبكراُ

ها هو مستشفي الهلال.. رابض أمامي.. بجوار سوق الخضار.. كما وصف ليّ تماماً.. تأكدت من أنني لم أضل الطريق.. سألت أحد البائعين الجائلين عن المكان فأشار بيده نحو المبني المجاور.. هززت له رأسي.. شكرته، مبتسماً.. واصلت السير.. وأصوات الباعة في السوق ، تعلو ، وتنادي بأثمان السلع.. مع أصوات العربات المزعجة الفظيعة.. فكدت أسُد أُذني من شدة الضجيج.. وأخيراً وصلت، دخلت المبني. كان مليئاً بالعمال، ومعدات البناء، وبقايا أنقاض الهدم ، يبدو أنه ترميم لبعض جدرانه.. تصفحت الفناء.. الأدراج المدرسية.. ملقاة، ومعطوبة علي الأرض، وبجوار الباب الرئيسي أكوام بعضها فوق بعض، وعدد لا بأس به من المتقدمين للمسابقة جلوساً على بعضها، وقد حضروا باكر، للمسابقة المعلن عنها.. والباقي يحضر تباعاً.. جلست على مقعد دراسي بجوار الباب الجديد.. نظرت في ساعت معصمي.. كانت تشير للعاشرة صباحاً .

ــ لم يزل الوقت مبكراً..

ليلة أمس قالت ليّ جارتي.. أنها تقدمت لهذه المسابقة.. جُلت ببصري بحثاً عنها وسط الزحام ، فلم أجدها.. ثم كررت المحاولة مرة أخري.. لعلى،

وعسى أن أجدها.. ولكن دون جدوى.. أخرجت علبة سجائري.. أشعلت واحدة.. وراح عقلي يسرح في أشياء كثيرة.. ويسبح في دنيا الخيال.. ..
"حلمت بالوظيفة.. والتعيين في القطاع العام.. والزواج بمن أحب.. والبيت.. والأسرة ، والأولاد.. والاستقرار.. والحياة الكريمة.. .. و... و..."
أفقت علي صوت أجش.. ينبعث من جثة ضخمة.. يقف في الدور الثاني.. يلقي التعليمات علي من حضر من المتقدمين للمسابقة الواقفين في انتظار الأسماء.. .

ـــ من واحد إلى مائة، يصعدوا لأعلى.. ومن مائة إلى مائتين ، يقفون بجوار السبورة هناك.. .و.. ....؟!

اندفعت مع الكتل البشرية المتزاحمة.. المتدافعة كقطعان الماشية.. اختفيت وسط الزحام، حتى وصلت إلى صاحب الصوت.. دفعت إليه ـــ بصعوبة بالغة ـــ الورقة التي أحضرها لي ساعي البريد بالأمس ـــ لفني بنظرة حادة .. وقال لِيَ وهو يبتسم ابتسامة باردة ، باهتة ، بلهاء

ـــ احنا عوزين يا أستاذ رقم الإيصال.. ؟!!

أحد الواقفين بجواري.. أستوضح منه الأمر أكثر.. ثم أخبره بأن الإيصال قد فقد منه.. فلم يرد عليه بشيء.. والكتل البشرية الملتفة، المتدافعة حولي.. تكاد تمنع عني الهواء.. بصعوبة بالغة انسحبت من بينهم.. جلست علي أقرب أريكة.. ريثما أشتم نفسي.. برهة أخرجت فيها.. حافظة نقودي المموهة.. المزدحمة بالأوراق في جيبي.. أبحث فيها عن الإيصال.. أخرجت

أحشائها كاملة ، وضعت كل ما فيها أمامي.. محتوياتها .. " صورة من المؤهل الدراسي.. بطاقة الرقم القومي .. صورة شهادة الخدمة العسكرية.. شهادة وفاة والدي، الذي رحل عن الدنيا منذ عام.. أُقصوصة ورق بها أرقام تلفونات.. إعلان صغير قطعته ، من جرية المساء.. عن مجموعتي القصصية الجديدة.. مبلغ زهيد من المال ، لا يتعدى المائة جنيه مصري ".. هذا كل ما كان في حافظتي القديمة ".. .

بسرعة البرق أعدت كل شيء إلى مكانه.. هرولت خلف الرجل الضخم.. أخذت أناديه بكل صوتي.. لكن صوتي قد ابتلعته الأصوات العالية.. المرتفعة، المتشابكة، المتداخلة.. فدخلت وسط الزحام من جديد، فدفعتني أمواج البشر المتدفقة.. حتى وجدت نفسي أمام السبورة الخشبية.. التي علقت عليها كشوف أسماء، وأرقام المتقدمين للمسابقة، نظرت فيها بحثاً، وأخيراً تعرفت علي اسمي ورقمي بصعوبة بالغة.. فتذكرت جارتي ، فبحثت عن اسمها، وعن رقمها إشفاقاً مني عليها من هذا الزحام القاتل، فلم أجده، ولم أستطع بأن أتعرف عليه.. فعدت إلى مكاني الأول ، بجوار الباب الرئيس في ارتباك، وقلق، وحيرة، جلست أراقب وأترقب.. أنظر.. وأنتظر دوري في دخول اللجنة التي ستمتحنني.. برهة تركة فيها لعقلي عنان الخيال، ورحت أتخيل.. وأحلم من جديد... .

" حلمت.. بالنجاح في الامتحان، والوظيفة.. والزواج... والبيت.. والاسرة.. والاستقرار، والأولاد.. والحياة الكريمة.. و.. . و.. . و.. "

انتبهت على صوت جارتي، وهي تكلمني بصوت رقيق، ويدها تهزني لأعود إلى نفسي، وإلى تلك المدرسة المكتظة بالبشر، من متقدمين من الجنسين للمسابقة التي أعلوا عنها من أيام وقد.. وضعت على وجهها ابتسامة جميلة.. متفائلة

ــ أنت من بدري هنا ،،؟

ــ أنا بحثت عن اسمك ورقمك، فلم أعثر عليه

ــ أنا وجدته.. أسمك، ورقمك بيـ نادوا عليه، قم، واذهب إليهم بسرعة..؟...

ــ .. ..

كان نفس الصوت الأجش ، ينبعث من نقس الجثة الضخمة.. لنفس الرجل الأصلع المنتفخ بكرشه.. يقف في الدور الثاني.. ينادي على أسمي، ورقمي في التسلسل الخمسون بعد المائة، ومازال يجيب على أسئلة بعض المتقدمين للمسابقة، والواقفين في انتظار أسمائهم، ويلقي عليهم التعليمات الصارمة، ويطلب منهم الهدوء والصمت حتى يستطيع كل واحد أن يسمع اسمه ورقمه.. اندفعت نحوه بسرعة الصاروخ ، أو كالطلقة الطائشة التي خرجت من السلاح على غير هدى، ثواني وكنت بجواره ، الهث ، وأنا أقدم له الإيصال، نتشه من يدي وهو يدفع بي إلى الداخل.. اللجنة عبارة عن عدة لجان ، كل اثنين ، أو ثلاث نفر، في ركن ما وأمامهم شاب، أو فتاة ، والأسئلة شفهي، عبارة عن سين وجيم من غير، لا ورقة، ولا قلم، وطبعاً بعد أن،تقدم هويتك، ويراجع أسمك في الكشوف التي أمامهم، وكلاً في تخصصه، ومن ثمَّ

يعطوك درجة، ويضعوا لك نتيجة مبدئية، وهذا الامتحان تمهيدي، ثم يرقي الناجحون بعد ذلك ، ويصعدون، إلى امتحان آخر، يكون هناك في "القاهرة" ويكون شفهي، وتحريري أيضاً، ومن ثَمَّ في الأخير، المقابلة الشخصية... المهم... أديت الامتحان، وخرجت، بحثت عن جارتي، فلم أجدها، فص ملح وذاب ، فانتظرت قليلاً، ربما تكون قد دخلت إحدى اللجان، جلست تحت الشجرة، أنتظرها حتى أسألها، عن اجتيازها للامتحان، ولنعود سوياً، ومرت ساعة من الوقت، وأنا أنتظرها.. أخرجت علبة سجائري ، أشعلت واحدة وجلست أنتظر.. . حتى طال انتظاري.. ..

****

الكاتب في سطور

* الاسم / على السيد محمد حزين
* واسم الشهرة / على حزين
* تاريخ الميلاد / **8** / **8** / **1967**
* المؤهل / ليسانس أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط
* شعبة / الحديث وعلومه .
* يعمل / إمام وخطيب بالأوقاف المصرية
* العنوان / ساحل طهطا / سوهاج
* عضو عامل في نادي أدب طهطا
* عضو مركزي / محاضر مركزي سوهاج..
* عضو عامل لشعراء العامية المصرية .
* كاتب روائي.. وقاص.. وشاعر
* دعي للعديد من المؤتمرات الأدبية .
* شارك في ندوات المجلس الأعلى للثقافة
* منها " المؤتمر الأدبي الخامس عشر لإقليم وسط الصعيد الثقافي، بالوادي الجديد " الخطاب الثقافي وسط الصعيد (الواقع والمستقبل) بتاريخ **3** / **3**/ **2015**

* كرم بشهادة من " مؤسسة أسرار الأسبوع " في إحدى جولاتها الرائعة في قصر ثقافة سوهاج مساء يوم الاربعاء **8 / 2 / 2017 ..** والتي يرأس مجلس إدارتها الشاعر الكبير // محمد سليم الديب

* تناولت بعض اعماله ضمن "رسالة ماجستير" للقصة القصيرة في سوهاج للأستاذ الباحث // السيد محمد علي // ابن سوهاج وقد اشرف علي رسالته الاستاذ الدكتور// محمد عبد الحكيم// " جامعة اسوط ـ كلية الأداب ـ قسم اللغة العربية ـ الدارسات العليا "

* نشر عملة ضمن كتاب الجمهورية " **50** قصة قصيرة.. " في يونيه عام **2000..**

*نشر اعماله في العديد من الدوريات والجرائد والمجلات الأدبية المصرية علي سبيل المثال جريدة " الجمهورية - والأهرام المسائي - وجريدة المساء - ومجلة أقلام " وغير ذلك

*نشرت أعماله بالصفحات والمجلات والمواقع الأدبية التي تتصل بعالم الفضاء الإلكتروني ـ

* البريد الإلكتروني :

alielsaeed472@yahoo.com

* له خمس مجموعات قصصية مطبوعة ـ

1 ـ " دخان الشتاء" من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام **1999** م ..

*2 ــ " وحفيف السنابل " عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام 2004 م

* 3ــ " أشياء دائماً تحدث "عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام 2004 م

* 4 ــ "اعترافات انثى برية " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام 2021 م

* 5 ــ " مقام سدنا الولي " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام 2021 م

وله دوان شعر فصحة مطبوع ــ

* 1 ــ " الرصاصة الأخيرة " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام 2021 م

* وفاز بالمركز الأول مرتين علي التوالي في مسابقات أدبية لنادي أدب طهطا.. ما بين عام / 1997 إلى عام 2000 م

* وله تحت الطبع ـ مجموعتان قصصيتان "غرفة رقم (5)" ــ و" المجنون " تحت الطبع ــ روايتان 1 ــ " اجازة ".. 2 ــ " ايراد "

* تحت الطبع ــ ديوان "ولسه بحلم" عامي

* ديوان " تغريدات صغيرة " فصحى

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

تليفون 0120370401 محمول 0934761104 "

****

محتويات الكتاب

إهداء...5
نَزوَة...6
تداعيات من الزمن المنكسر...10
إحساس قابل للكسر...20
حوار طويل جداً...24
المهرج..24
المجادلة...25
أدراج الريح..26
اختلاس..31
دخان الشتاء..33
أحلام...39
اللوحة..41
التآكل..44
أرجوزة..46
الشحاذة...48
دوار..50

الجحيم..52
الصخرة 55
امرأة سريالية...57
" البالطو الابيض " 59
الجدار...66
أنا وهي 71
أنثى العنكبوت...78
عالم آخر 90
غراب.. ويمامتان..96
نورا 104
وطن..110
حُلم..113
الكاتب في سطور..120
محتويات الكتاب 123

تمت بحمد اللّه

مجموعة قصصية

دخان الشتاء

علي حزين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com